

الكنيسة الأرثوذكسية
كنيسة الإسكندرية

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والعقائد

الله



١٩٩١

القمص تادرس يعقوب ملطي

الله

القمص
تادرس يعقوب ملطي

التحويل لكتاب الكتروني:
[Coptic kindle books](#)



@COPTICKINDLE

الله محبة

"الله محبة" (١ يو ٤:٨)

الله ليس فكرة نؤمن بها، ولا هو بالكائن الأسمى البعيد عنا في السموات المعتزل عالماً.

حقاً يليق بنا أن نخافه ونخدمه ونعبده، لكنه ليس بالكائن الجامد، وإنما هو محب للبشر. يهبهم معرفته الإلهية لكي ينعموا بحبه ويدركوا أبوته. يريد أن يكون قريباً جداً منهم ليجعلهم واحداً معه، يسكن في نفوسهم مانحاً إياهم القدرة على شركة مجده، بمعنى آخر يعلن الله عن ذاته للبشرية، لا لكي ينشغلوا بمجادلات نظرية، ولا لكي يفرض سلطانه عليهم، وإنما لكي يجتذبهم إليه، كما يجتذب الأب الطبيعي أولاده. إننا نجد في أبينا السماوي نبع الحياة والخلود والمسرة الأبدية والمجد.

كتب القديس أثناسيوس في رسائله الفصيحة يقول: [التأمل في الله وكلمته (اللوغوس) الصادر عنه فيه إشباع للذين يسمعون، فبالنسبة لهم يقوم مقام كل طعام. فالملائكة لا يقتاتون إلا برؤية وجه الآب والمخلص الذي في السماء.]

استعلان الله

خلق الله الإنسان على صورته كأكمل خليفة توجد على الأرض، ولم يكن في قصد الله أن يتركه في الفردوس وحده، إنما أراد أن يحتضنه كمحبة الخاص، واهبًا إياه الاتحاد معه. وقد اعتاد الله أن يدخل في حوار مع آدم وحواء محبوبيه، إذ قيل: "وسمع صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة" (تك ٣: ٨). كما دخل الله في حوار مع أب الآباء إبراهيم ليعلن له عن قصده الإلهي، قائلاً: "لا أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟" (تك ١٧: ١٨).

يعلن الله غير المدرك عن ذاته وعن طبيعته وأسراره وأرادته لأحبائه الذين يشترق أن يكون على اتصال بهم.

يتحدث الله مع البشرية خلال خليقته، وكما يقول القديس بولس: [لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته، حتى انهم بلا عذر] (روا: ٢٠). ويقول داود النبي: [السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه] (مز ١٩: ١) وكتب البابا أثناسيوس الرسولي: [أعطى الله بكلمته (اللوغوس) المسكونة أن تكون، وذلك لكي يتمكن أن يتعرف عليه البشر من خلال أعماله، هذا الذي بطبيعته غير منظور، لأن الفنان وإن لم ير يعرف من أعماله].

إذ رفض البشر الاستماع إلى صوت الناموس الطبيعي الذي يعلن عن الله كخالق ومحب للبشر، قدم الله الشريعة المكتوبة خلال موسى. كما أرسل أنبياءه ليعدوا الطريق أمام (الكلمة) نفسه، ابن الله المتجسد الذي جاء أعلن لنا عن الأسرار الإلهية. يقول الرسول بولس: "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب ١: ١، ٢).

كتب روبرت م. جرانيت: [يتفق كل كتاب العهد الجديد على وجه الإطلاق أن الله يعرف خلال إعلانه الذاتي عن نفسه، هذا الإعلان الذاتي هو استعلان المسيح. ولمزيد من التأكيد فإن بولس في رومية (١٩: ١) إلخ. لم يتحدث صراحة عن هذا الإعلان، لكنه أشار إلى مجد الله الذي لا يزول. وبمكنا مقارنة هذه الآيات بما جاء في (٢كو ٤: ٦): "لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمته هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح". فالخلق والفداء والاستعلان أمور متلاحمة معًا في فكر بولس. ففي رومية (١٩: ١) إلخ. لم يشر صراحة إلى المسيح، لأن مثل هذه الأمور لم تكن موضوع جدله. ونخلص من هذا انه بالنسبة لللاهوت الكنيسة الأولى كل العبادات الخاصة بالكونيات (الخلق) مرتبطة على وجه الإطلاق بالعقيدة الخاصة بالمسيح. فمعرفة الإنسان لله التي يستنبطها من الخليقة معرفة غير كافية، وخارج إعلان الله الذاتي في المسيح تقود إلى الوثنية. بمعنى آخر، ليست هناك معرفة حقيقية عن الله خارج الإعلان (الإلهي)، ولا معرفة عنه خارج النعمة وخارج الإيمان. "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله

بالحكمة" (١ كو ٢١:١).

كتب العلامة أوريجينوس: [كل الذين يؤمنون ويثقون أن "النعمة والحق ليسوع المسيح صاراً" (يو:١٧). والذين يعرفون المسيح أنه هو الحق، كما يعلن عن نفسه: "أنا هو الحق" (يو:١٤:٦)، يحصلون على المعرفة التي تحت البشر على حياة صالحة وسعيدة، ليس من نبع آخر (للمعرفة) غير كلمات المسيح وتعاليمه نفسها. لسنا نعني بكلمات المسيح فقط تلك التي نطق بها عندما صار إنسانًا والتحف جسدًا، لأنه قبل ذلك أيضًا كان المسيح هو كلمة الله معلنًا في موسى والأنبياء.]

ويقول القديس إكليمنضس الاسكندري: [اقبل المسيح، اقبل البصيرة، اقبل نورك، لكي تعرف الله والإنسان حسنًا. "خلو هو الكلمة الذي يهنا النور، أنه [أثمن من الذهب والحجارة الكريمة، وأشهى من العسل وقطر السهاد" (مز ١٩:١٠). [كل لقب من ألقابه لا يعبر بمفرده عنه، لكنها كلها معًا تشير إلى قدرة القدير]... يتبقى لك بعد ذلك أن تدرك غير المدرك، وذلك بنعمته الإلهية، بواسطة الكلمة وحده الصادر عنه.

ويقول العلامة أوريجينوس: [مخلصنا هو صورة الله غير المنظور، إذا قورن بالآب نفسه فهو الحق؛ وإن قورن بنا نحن الذين أعلن لنا عن الآب فهو الصورة التي بها نأتي إلى معرفة الآب، ذاك الذي لا يعرفه أحد كقول الابن: "إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له".

الآن، وقد قدم الله لنا من جانبه كل الإمكانيات لكي نعرفه، بإعلانه عن ذاته صرنا نحن من جانبنا ملتزمين أن نتمتع بهذه المعرفة الإلهية، لا بالدراسة والبحث وحدهما وإنما أيضًا بتنقية نفوسنا وقلوبنا، أي بتنقية بصيرتنا الداخلية.

يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [فلأجل هذه المعرفة والفهم الدقيق لسنا في حاجة إلى أي شيء آخر سوى نفوسنا. ليس لأن الله فوق الكل، الطريق إليه هو خارج عنا وإنما هو في داخلنا؛ وفي قدرتنا أن نجده من أنفسنا. وذلك كما فكر موسى عندما قال: "بل الكلمة" كلمة الإيمان "قريبة منك جدًا، وفي فمك وفي قلبك" (تث ٣٠:١٤).

وهو نفس ما أعلنه المخلص مؤكدًا إياه بقوله: "لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧:٢١). وإذ يكون لنا الإيمان وملكوت الله داخلنا يمكننا أن نعين بسرعة وندرك ملك الكون وكلمة الآب المخلص.

عندما تتحرر (المعرفة) من كل رجاسات الخطية التي تغطيها، وتحفظ فقط بمثال الصورة "المسيح" في نقاوتها تصير مضيئة تمامًا وترى النفس صورة الآب أي الكلمة، كما في مرآة.

كتب جوزيف ماكيلان: [فكما يعرف المثل بمثله حسب رأى الإسكندريين. (يقول
القديس إكليمنضس: [أن الطريق اللامتغير هو عدم التغير نفسه.]

يهوه

خبر الله موسى أنه ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب بكونه القدير (خر ٦: ٣)؛ وكان موسى هو أول من عرف اسمه بكونه يهوه. فقد كان موسى أول قائد لشعب الله في العهد القديم، وكنايب عنهم أعلن له الله عن اسمه أنه "يهوه" أي "الذي يكون". ماذا يعني تعبير: "الذي يكون"؟ يعني أنه موجود، يعمل لحساب شعبه المختار وذلك على اختلاف الديانات اليونانية التي غالبًا ما كانت تتطلع إلى الله بكونه الكائن المتعالي جدًّا عن شئون العالم. لم ينظروا إليه كإله فعال في شئون البشر إنما تركوا هذا لرتب متدرجة لآلهة في مرتبة دنيا أو لمن هم أنصاف آلهة، هؤلاء الذين كانت أنشطتهم في عالمنا يسودها الفوضى والصراعات والأهواء الشخصية، فلا يسلكون معًا بروح واحد في اتجاه واحد. لقد تحققت المسيحية من أن عمل الله غير متوقف، يمتد ليشمل كل مراحل حياة الإنسان في كل زمان ومكان.. فالله دائم الحاضرة ودائم العمل في العالم، ولا يقتصر وجوده أو عمله على أمة واحدة معينة.

ثيؤس

يقول ج. ل. بريستيج Pristige أن بعض آباء الكنيسة الأولى أمثال إكليمنضس وديونسيوس الإسكندريين قد تبعوا هيرودوت في ربطة بين ثيؤس "الله" وتثيمى "التدبير".

يقول القديس إكليمنضس: [دعى الله ثيؤس لأنه وضع أساس التأسيس والتنظيم كمدير].

يربط نفس الآباء اللقب بفعل (يجرى)، لأن الله هو مصدر الحركة والنشاط والتقدم في كل شيء. وكما يقول أرسطو، بأن الله هو المحرك الأول، الذي حرك العالم وتركه. مقابل هذا نحن نؤمن بأن الله هو الحب، الحب اللانهائي، حركة محبته نابعة من داخله خلال علاقة الثالوث القدوس الأزلية. وقد استعلن حب الله بخلقه العالم، ولا تزال هذه المحبة فعالة، لن تبطل قط حتى مجيء المسيح الثاني. الله هو حركة حب أزلي، تحتضن العالم كله والإنسان بوجه خاص. فهو يعتني به في هذه الحياة الزمنية حتى آخر شعرة في رأسه (مت ١: ٣٠)، غاية ذلك أن تنعم البشرية بالمجد الأبدي. ويؤكد الآباء الإسكندريين بقوة أن الله وهو غير مدرك يعتني بالإنسان خلال محبته الفريدة، لأن ملكوت محبته السماوي يتأسس في أعماق نفس الإنسان (لو ١٧: ٢١). قدرة الله هي تلك المحبة الدائمة الحركة.

يليق بنا ونحن نتحدث عن الله بكونه (الحب)، ألا نطن الحب عواطف بشرية، إنما نعبر عن ما هو إلهي وما هو غير مدرك بلغة بشرية يمكننا إدراكها.

يقول البابا أثناسيوس: [الله في وجوده الذاتي يحتضن كل شيء، ولا يحويه شيء، في صلاحه وقوته فهو في الكل لكنه خارج الكل من جهة طبيعته اللائقة].

ويقول القديس إكليمنضس الإسكندري على الله: [في جوهره بعيد جدًا لأنه كيف يقترب عن ما هو صادر عن أصل ممن هو غير صادر عن أصل؟ لكنه ملتصق بنا جدًا في القوة التي بها يحتضن العالم كله].

الله الذي نؤمن به

بدأت المسيحية في مصر في الإسكندرية بحركة بسيطة لكنها عميقة للغاية.، فقد صرح إنيانوس الإسكافي: "يا الله الواحد"، عندما اخترق المخراز يده وهو يصلح حذاء القديس مرقس. أبرأ القديس مرقس الرسول يده باسم ربنا يسوع المسيح. بهذا شهد لله الواحد الذي آمن به إنيانوس دون أن يعرفه. وتحدث معه القديس مرقس عن الله الذي يشفي ليس فقط أجسادنا بل وطبيعتنا البشرية بيسوع المسيح، كلمته المتجسد، واعتنق إنيانوس المسيحية، ورسمه مارمرقس أول أسقف للإسكندرية.

يليق بنا هنا أن نلاحظ أمرين:

١- لم يهاجم القديس مرقس الديانة المصرية آنذاك، لكنه على العكس استخدم كلمات إنيانوس: (يا الله الواحد) كنقطة بداية للكراسة بالحق الإنجيلي. ومدخله هذا يشبه ما صنعه بولس الرسول في أثينا: "فالذي تتقنوه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي به" (أع:٢٣:٧)، كما قال: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم أيضًا لأننا أيضًا ذريته" (أع ١٧:٢٨).

وقد سار أباء الإسكندرية على نفس خطوات القديس مرقس، فركزوا بالحق الإنجيلي غير المتغير للمصريين ولأولئك المثقفون بالثقافة الهيلينية (اليونانية) بالإسكندرية، مستخدمين نفس لغتهم وتعبيراتهم، يتحدثون مع البسطاء بلغة البساطة، ومع الفلاسفة بلغة الفلسفة.

٢- استخدم القديس مرقس حادثة شفاء جرح إنيانوس باسم المسيح يسوع كنقطة بداية ليكرز بالإنجيل هكذا لم يظهر الله كفكرة مجردة يؤمن بها وإنما يعلن عنه كمخلص يشفي البشرية كلها ويخلصها. هذا هو المبدأ الأساسي للاهوت السكندري حتى يومنا هذا. أننا نعرف الله ليس من خلال مناقشات نظرية، وإنما من خلال أعماله الخلاصية حيث يهبنا المعرفة الجديدة والحياة الجديدة والخلود.

هكذا بذر بحق القديس مرقس في تربيتنا اللاهوتية البذرة التي أنتجت ثمارا على مر العصور إحدى هذه الثمار العلاقة الوثيقة بين المعرفة اللاهوتية والخلاص. فالله يمنحنا المعرفة ولكن ليس بمعزل عن الخلاص ويظهر هذا الفكر بوضوح في لاهوتيات القديس إكليمنضس السكندري الذي غالبًا ما يقدم لنا يسوع المسيح كمعلم paedagogus وقد كتب كتابًا بهذا الاسم وتحدث عن هذا المعلم الإلهي، قائلاً: [الطبيب الواهب الشفاء الكلي للبشرية جمعاء]. بمعنى آخر المعرفة الإلهية عند القديس إكليمنضس لا تنفصل عن خلاصنا، وقد كتب بصراحة هكذا: [إنها مشيئة الله أن نبلغ معرفة الله، التي هي سبيلنا للخلود]. [صار الكلمة إنسانًا لكي تتعلموا كيف يصير الإنسان إلهًا].

بهذا ندرك لماذا لم يتحدث معنا كلمة الله المتجسد بألفاظ لاهوتية، ولم يضع لنا صيغة إيمان ثالوثي، إنما في بساطة أعلن لنا عن الثالوث القدوس خلال أعمالهم الخلاصية وفيما يلي أمثلة توضح ذلك:

١- يعلن ربنا يسوع عن الآب كمحب البشر الذي أرسل ابنه الوحيد ذبيحة لخلاص العالم كله (يو ٣: ١٦) ويسألنا أن ندعوه "أبانا" (مت ٦: ٩) حتى نشق في محبته الأبوية، مؤمنين أنه يعطينا أكثر مما نسأل.

٢- عندما يعلن ربنا يسوع عن علاقته بالآب، إنما يصنع هذا لنفعلنا إذ يقول: "لأن الآب يحب الابن، وقد وضع كل شيء في يديه، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو ٣: ٣٥، ٣٦)، "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). "الذي رأي فقد رأى الآب" (يو ١٤: ١٩).

٣- يعلن يسوع المسيح عن لاهوته من خلال أعماله لحسابنا. إنه يظهر ذاته كخالق يحول الماء خمراً في عرس قانا الجليل (يو ٢: ١-١٢) ليهبنا الفرح الروحي. ويكونه الخالق يهب البصر للمولود أعمى (يو ٩: ١-١٢)، ويسكن البحر والرياح (مر ٤: ٣٥-٤١)، ويطرد الشياطين والأرواح الشريرة (مر ١: ٢٣) لكي يحيا أحبائه في سلام.

يعلن أيضاً عن نفسه كغافر الخطايا (مر ٩: ٢-٤٦؛ لو ٧: ٤٨) ويقدم نفسه لنا بكونه الحياة والحق والقيامة والخبز النازل من السماء والطريق والباب والطبيب والعريس. إلخ. لنجد فيه شعباً لكل احتياجاتنا.

٤- يقدم لنا الروح القدس بكونه المعزي والمعين (يو ١٤: ٢٦) الذي يسكن فينا (يو ١) والذي يعلمنا كل شيء (يو ١٤: ٢٦) الذي يبكت العالم على الخطية (يو ١٦: ٨) ويهب قوة الشهادة للمسيح (أع ١: ٨).

سرّ الله

تثير المسيحية قلب الإنسان فيدرك الحق الإلهي، وتسمو بنفسه لتشارك الحياة السماوية دون تجاهل لواقعة العمل على الأرض، فهي (دين سرائري). لكن قد يسأل أحد.

ماذا تعني كلمة "سر"؟ هل تعني أن العقائد المسيحية ليست بسيطة؟ أو أن العقل البشري لا يقدر أن يتقبلها؟

هل من حاجة إلى الإيمان بسرّ الثالوث القدوس؟ ولماذا لا نؤمن بالله ونعبده في بساطة دون بحث في طبيعته؟

١- "سر" في المسيحية لا يعني أن يتقبل المؤمن عقائد غامضة دون فهم، أو أن هذه العقائد غير مقبولة عقلياً؛ فعندما نتحدث عن الأسرار الإلهية الخاصة بجوهر الله وطبيعته وأعماله، إنما نعني أن الله يعلن لنا عن هذه الأمور بكوننا كائنات عاقلة، واهباً إيانا الاستنارة الإلهية التي تكشف لنا عن المعرفة الإلهية التي هي بحق فائقة السمو، تبقى عقولنا عاجزة عن استيعاب هذه الأسرار طبيعياً دون تدخل نعمة الله وإعلانه. فالسرّ لا يضاد العقل الإنساني لكنه بدون معونة الله يبقى فائقاً بعيد الإدراك.

خلقنا الله كائنات عاقلة لا كائنات بهيمية. وهو يعلن لنا عن ذاته وعن أعماله لا ليغى عقولنا ولكن ليسمو بها، فتقبله طبيعتنا البشرية وتتعرف على أسرارهِ. "أعطيت لكم أن تعرفوا سرّ ملكوت الله" (مر٤:١١). "إذ عرفنا بسرّ مشيئته حسب مسرته التي قصدتها في نفسه" (أف ١:٩).

الله الذي يحب البشر ككائنات عاقلة تحدث مع موسى "كما يكلم الرجل صاحبه" (خر ٣٣:١١) وهو يشاق أن يدخل في حوار مع كل مؤمن.

اقتبس هنا بعض عبارات القديس إكليمنضس السكندري التي تعلن أن المسيحية تسمو بعقل الإنسان ولا تلغيه بالإيمان وبإعلان الله له، إنما تزيده حكمة.

[ترتفع النفس إلى الله، فتتدرب على الفلسفة الحقيقية وتسرع إلى قريبها في الأعالى، متخلية عن شهوات الجسد كما تترك التعب والخوف].
[الإنسان الخالد هو تسبحة رائعة لله، يتأسس في البر حيث تنقش فيه أحكام الحق. لأنه أين يمكن أن يكتب الحق إلا في نفس حكيمة؟]

ويوضح القديس إكليمنضس أن المعرفة البشرية لازمة لفهم لكتب المقدسة لكن ليس بدون معونة الله.

- يتهم البعض المسيحية بأنها تفتقر إلى البساطة؛ بمعنى آخر يتهمونها بالتعقيد لأنها تؤمن بثلاثة أقانيم في جوهر إلهي واحد. إنهم يتطلعون إلى هذه العقيدة كما لو كانت سرّاً يمكن أن يفهم على أنه نوع من تعدد الآلهة، لهذا يدعون أنه لا حاجة إلى

قبولها لكننا نلاحظ أن أغلب الديانات التي ترفض هذه العقيدة وفي نفس الوقت تؤمن بالله واحد مطلق، هي نفسها تؤمن بأسرار إلهية كثيرة لا يستطيع العقل أن يستوعبها في ذاته، فتتحدث عن ידי الله ووجهه وعرشه... إلخ. بالرغم من إيمان الكل أن الله لا جسم له لكنه روح بسيط، ولا يمكن لعرش أن يحده. ومع هذا يقبلون هذه التعبيرات كأسرار في معتقداتهم، وان كان قبولها يمكن إساءة فهمها. بنفس الفكر نقول أن إيماننا بالثالوث القدوس هو سرّ أعلنه الله نفسه إلى البشر ويمكن للعقل أن يدركه بالنعمة الإلهية، ويتعرف على هذا الإيمان بكونه يؤكد وحدانية الله ويفسرها.

وحدانية الله والإيمان الثالوثي

إيماننا في جوهره هو دعوة إلى التمتع واختبار الإله الواحد محب البشر. ويؤكد العهدان القديم والجديد الإيمان بهذا الإله الواحد، لكن العهد القديم يعالج هذه المسألة بنظرة سلبية. كان هدفه أن يمنع المؤمنين من عبادة الأوثان، الآلهة الكاذبة، ومن ممارسات رجاسات الأمم المرتبطة بالعبادة الوثنية (٢مل٢١:٢، ٢أى٢٨:٣). أما العهد الجديد فيشهد للإله الواحد بمنظار إيجابي، لأنه لا يعلن عن وحدانية الله فحسب وإنما يعمق إيماننا بالله الواحد بإبراز الإيمان الثالوثي، الذي في حقيقته لا يتعارض مع الوحدانية بل يؤكدّها، بإعلانه عن بعض الأسرار التي لله الواحد وعلاقته بالبشر؛ وبدون الإيمان الثالوثي تظل الوحدانية غامضة.

وإنني أود أن أشرح في الصفحات التالية لماذا نقبل الإيمان الثالوثي كعقيدة إنجيلية يعلنها الله لنا عن نفسه بكلمته المتجسد، وكيف تشرح هذه العقيدة المفهوم الإيجابي للوجدانية، وكيف تحل الكثير من الصعوبات الناشئة عن الوحدانية المطلقة. وبعتبر الإيمان الثالوثي طريقًا أساسيًا لخلاصنا، ويمس حياتنا العملية ومستقبلنا الأبدي وعلاقتنا بالله. علاوة على هذا فإن هذا الإيمان لا يتعارض مع العقل الروحاني، بل بالأحرى يشبعه ويرفعه للتأمل في الأسرار الإلهية بفرح.

العقيدة الثالوثية والكتاب المقدس

عقيدة الثالوث القدوس هي أولاً وقبل كل شيء عقيدة كتابية. فقد أعلن الثالوث القدوس عند عماد ربنا يسوع (يو:١٧:٣٣)، كما تتم المعموديتنا باسم الأقانيم الثلاثة كقول القديس متى (٩:٢٨). وردت هذه العقيدة في بركة القديس بولس في (٢كو:١٤)؛ وذكر الأقانيم الثلاثة أيضاً في (يو:١٦:١؛ أف:٢:١٨؛ ١بط:١:٢١، ٢٢) إلخ.

أعمال وألقاب ربنا يسوع المسيح والروح القدس تشهد عن ألوهيتهما كما سنرى فيما بعد. هذا ويلاحظ أنه بعدما ألقى العهد الجديد ضوءاً على طبيعة الآب بدأ المسيحيون يرون في العهد القديم أنه لم يلق ضوءاً شديداً على الله من جهة أقانيمه المثلثة. أحد أضواء العهد القديم الثلاثة تقديسات (قدوس، قدوس، قدوس) الواردة في رؤيا إشعيا (٣:٦)، وارتباطها بالعبارة القائلة: "من يذهب من أجلنا؟" (٨:٦). وأيضاً تفهم الأقانيم من صيغة الجمع باستخدام كلمة "ألوهيم" (جمع) عن الله، وتكرارها حتى في فقرة واحدة (تث:٦:٤). كما استخدمت في بعض العبارات مثل: "قال الله نعمل الإنسان على صورتنا" (تك:١:٢٦)، وأيضاً "هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض" (تك:١١:٧).

حقيقة لم تكن عقيدة الثالوث واضحة في العهد القديم، لأن اليهود كانوا محاطين بأمم كثيرة تعبد الأوثان وكثيراً ما كانوا يسقطون في عبادة آلهة جيرانهم الزائفة. فبالأكيد لو أن الله أعلن لهم عن هذه العقيدة صراحة لأخطأوا فهمها وقبلوا تعدد الآلهة. هذا ومن جانب آخر لم تكن هناك حاجة لإعلان هذه العقيدة قبل تجسد كلمة الله وحلول الروح القدس على الكنيسة.

الصيغ الأولى الثالوثية

لم يعلن ربنا يسوع المسيح أي صيغة (قانونية) ثالوثية؛ إنما أعلن عن ألوهية الآب والابن والروح القدس في وضوح وبصراحة خلال أعمالهم لأجل خلاصنا. غير أنه قبل صعوده إلى السموات أمر تلاميذه أن يعمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس، أعطاهم صيغة للعماد في بساطة دون ذكر "أقانيم" فإن غايته تكمن فقط في أن يهب المؤمنين نعمة الأقانيم بالمعمودية. وقد قبل الموعوظون أبوة الله (الآب)، والعضوية في جسد السيد المسيح، وسكنى الروح القدس في إنسانهم الداخلي.

بالنسبة للمسيحي، هذه الصيغة الخاصة بالعماد تعني التحرر من عبادة المخلوقات إذ يتم العماد في لاهوت الثالوث القدوس الواحد وليس في تعدد آلهة.

ومن أهم العبارات الخاصة بالعقيدة الثالوثية في العصر الرسولي هي التي للقديس بولس: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤). يشهد الرسول للثالوث القدوس لكي يعلن عن النعمة الإلهية والمحبة والشركة، فيتقبل المؤمنين الله ليس فقط كما هو بل كما يعمل بين مؤمنيه ليصيروا شركاء في الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٣).

واضح أن غاية نظام الكنيسة الأساسي في العصر الرسولي هو الشهادة خلال عبادتها أن الله أرسل كلمته يسوع المسيح، لقد مات وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيعود في المجد لنقوم معه ونتمتع بحضرة أبيه. ولقد أرسل أيضًا روحه القدوس في كنيسته ليُعد ملكوته السماوي، ويهيئها للعرس الأبدي. بمعنى آخر إيمان الكنيسة الرسولية إيمان ثالوثي صرف، له أثر على كراتها وعبادتها وسلوكها، لكنه لم يعلن في صيغة لاهوتية بالمفهوم الحديث.

الله والحب الأبدي

عادة تدعو الأديان الله الخالق، محب البشر، صانع السلام، صانع الخيرات، الرحيم، العليم بكل شيء إلخ.. لكن ربما يسأل أحد: هل هذه الألقاب أزلية؟ إن كان الله غير متغير فكيف كان خالقًا، محبًا، صانع سلام منذ الأزل، قبل خلقه الكون؟ هل كان الخلق ضروريًا حتى تنسب إليه هذه الألقاب؟

يجيب بعض المفكرين الذين لا يؤمنون بالثالوث القدوس عن هذه الأسئلة قائلين: إن لله هذه الألقاب والخصائص الأزلية "بالقوة" لا "بالفعل" أما بعد الخلق فظهرت بالفعل. هذا يعني إن الخلق كان ضروريًا لتحقيق الله به سماته الخاصة بالحب والسلام والرحمة إلخ.. فتصير بالفعل (بالعمل) بعد أن كانت بالقوة فقط. لكن بالحق قبولنا للإيمان الثالوثي انه ثلاثة أقانيم في جوهر إلهي واحد يجعل حل هذا الأشكال سهلًا، لأن كل هذه الخصائص إنما تتركز في واحدة وهي "المحبة". بالحب خلق الله الكائنات السماوية والأرضية. إنه رحوم وصانع سلام ورؤوف إلخ.. لأنه يحب الإنسان. يقول الكتاب المقدس: "الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٨)، الحب السرمدى. فإن الآب يحب الابن، ولم يكن هناك زمان لم يحب فيه الآب الابن. فالحب كخاصية إلهية هو حب أزلي بالقوة كما بالفعل، لأن الحب هو الله ذاته الذي يحب منذ الأزل وإلى الأبد؛ لم يكن في حاجة إلى خليقته لكي تكشف عن خصائصه. تحدث ربنا يسوع المسيح إلى أبيه الأزلي، قائلًا: "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧: ٢٤).

أعلنت لنا العلاقة التي بين الثالوث القدوس الأزلية والمطلقة خلال معاملات الله معنا، خاصة خلال عمله الخلاصى. وقبل تسليمه صلى ربنا يسوع المسيح للآب لحسابنا، قائلًا: "كما أنت أبها الآب فيّ وأنا فيك فيكونوا هم أيضًا واحدًا فينا... وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما إننا نحن واحدًا... وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، أكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢١-٢٦).

خارج الإيمان الثالوثي إن قلنا إن الله يحب منذ الأزل تنسب له الأنانية، أي يحب نفسه، حاشا لله هكذا بالنسبة للسلام فإننا نتساءل: مع من كان الله في سلام منذ الأزل؟ إلخ.. وهكذا توجد أسئلة كثيرة لا إجابة لها إلا في الإيمان بالثالوث القدوس في جوهر إلهي واحد.

يوضح الأستاذ نيقوس أ. نسيوتوس التثليث المسيحي كحركة حب سرمدية تضاد النظرية الفلسفية الجامدة لوحداية الله قائلًا: [بأن التثليث المسيحي يقدم الله في حركة ديناميكية داخلية تضاد كل نوع من الأنانية (solipsism) نظرية تقول بأنه لا وجود لشيء غير الأناء]، الثالوث القدوس: غير المولود (الآب) والمولود والمنبثق، هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب الذي يقيم علاقة سببية بين الأقانيم الثلاثة، علاقة حب داخلي، أي علاقة بين الآب ولوغسه (الكلمة) وروحه، خلال هذه العلاقة قدم

الله وعدًا وحققه، لذا نرى الله حيًا فعالًا في التاريخ، يحقق غاية نهائية للخلق. لذا يرتبط الحديث عن اللاهوت المسياني (لاهوت اللوغوس) باللاهوت الخاص بالخلق، لأن اللوغوس يجدد الخليقة ويحقق هدفها.

بحلول الروح القدس في يوم البنطقستي أمكننا فهم العلاقة القائمة بين اللاهوت المسياني ولاهوت الخلق كلاهوت عملي نمارسه ونحياه. أمكننا أن ندرك الله ككائن ديناميكي يتفاعل فيه الأقانيم في حركة حب حيث يوجد المحب والمحبوب. يقول نيسيتوس: [أن جوهر الله بكونه الحب هو حركة متدفقة نحو آخر تؤكد ذاتها، حركة علاقة متبادلة عميقة داخل الجوهر الإلهي].

خُصَّ الأستاذ نيسيتوس إلى أن التعليم الثالوثي يقوم على فهم كتابي لجوهر الله بكونه الحب فلا يكون الله واحدًا منفردًا ولا منعزلًا إنما يوجد الآب مع الأقبوس الآخرين في جوهر واحد. يجب التمييز بين الواحد المنفرد والواحد. ففي نظره الأول هو وحدانية الأنانية الفلسفية غير المسيحية، أما الثاني فهو الفهم المسيحي لله الواحد الثالوث الحي، انه توحيد في اتجاه وحدانية الشركة في ذات الجوهر. التعليم الثالوثي لا يتحدث عن الله في وحدانية معتزلة مطلقة جامدة. ولا عن كائنات ثلاثة منفصلة: هو واحد في جوهره، له حركة سرمدية في الداخل والخارج لاتحاد أقبوس [يمكن الرجوع إلى النص في كتابنا باللغة الإنجليزية].

الثالوث القدوس وبساطة الله

ربما يقول قائل: أنه بدون الإيمان بالثالوث القدوس تبرز مشكلة كيف يمكننا أن ننسب لله خصائص لم تظهر فاعليتها قبل الخلق، خاصة المحبة والسلام؟ لكننا إن آمنّا بالثالوث القدوس وبالعلاقة الأزلية بين الأقانيم قد تظهر مشكلات أخرى جديدة مثل:

كيف يمكننا أن نقبل الإيمان الثالوثي بالرغم من أن الله بسيط؟
كيف يكون الله ابن؟
ألا يتعارض هذا الإيمان مع الوجدانية؟

في الواقع إن الإيمان الثالوثي لا يجحد بساطة الله بل على العكس إنكار هذا الإيمان يشوه بساطة الله، للأسباب الآتية:

١. تؤمن كثير من الأديان أن كلمة الله أزلية، لأن الله لم يكن بدون كلمته حتى قبل وجود الزمن (يو:١:١)، بل وتعتقد بعض الأديان انه حتى الكلمات والحروف التي لكلمة الله أزلية أيضًا. بدون الإيمان بالثالوث القدوس في جوهر إلهي واحد، تكون أزلية كلمات الله أو أقواله تعني أن الله لم يكن بسيطًا، إذ يكون متحدًا مع كلماته أزليًا. لكن بحسب إيماننا، كلمة الله ليس "خارج" الله إنما هي ذات كلمته الأزلي المولود منه كولادة النور من النور، كائن معه في ذات الجوهر، أي انه واحد مع الأب في ذات جوهره الإلهي (ousia).

يؤمن كثير من غير المسيحيين أن كلمة الله أزلية معه، وإنها أعلنت للأنبياء كعلامة عن محبة الله للبشر، وإن هذه الكلمة لا تتعارض مع بساطة الله، أما نحن فنقول بأن هذه الكلمة "اللوغوس" ليس خارج الله بل هو واحد معه أزليًا. فالله ليس كالإنسان بل هو كائن أزلي، ومن ثم كلمته "اللوغوس" كائن سرمدى مع الأب كشعاع النور.

+ كلمة الله واحد لا يتغير، كما هو مكتوب: "كلمة الله ثابت إلى الأبد" (مز:١١٩:٨٩).
القديس أثناسيوس الرسولي

١. في الحقيقة لا يتعارض الإيمان الثالوثي مع بساطة الله، لأننا لا نؤمن بثلاثة جواهر إلهية بل بجوهر إلهي واحد ولكي ندرك هذا السرّ الإلهي يمكننا القول بأن الجوهر الإلهي موجود حقًا منذ الأزل، هذا الوجود "الكينونية" هو وجود عقلائي أزلي أي له (عقل) أو (حكمة) أو (لوغوس) كلمة، مولود من كينونته ليس خارجًا عنه وليس له جوهر إلهي آخر. لهذا عندما ندعو الكائن الإلهي "الأب" والكلمة "الابن" نؤكد أن الابن هو كلمة الله، حتى لا يسيء أحد اللقبين كما لو كان للأب والابن جوهرين منفصلين ولئلا يظنوا إننا نعتقد بالهين؛ فإننا نؤمن بإله واحد. بساطة الله لا تعني وجود الله دون كلمته أو عقله أو حكمته، حاشا أن يوجد الله غير عاقل!

بالنسبة لأثيناغوراس، مدير مدرسة الإسكندرية، الله الأزلي له عقل Logikos، اللوغوس كائن فيه أزليًا، لذلك فالابن باعتباره اللوغوس لم يأت إلى الوجود بل هو أزلي.

هذا الكيان الإلهي، أو "الآب" حيّ أزلي، له حياته منبثقة منه وليست خارجًا عنه. تتميز "الكينونة" عن "الحياة" لكنهما ليسا منفصلين، وليس لهما جوهران إلهيان، لأن "الحياة" خاصة بالكائن ذاته.

+ من الضروري الإيمان بالكائن العاقل الحي، جوهر واحد بسيط أزلي، لأن الثلاثة غير منفصلين ولم يوجد أحدهم قبل الآخرين. إنهم كالنار التي لها لهيب ونور وحرارة في ذات الوقت.

هكذا نفهم أن الوجدانية غير متجزئة إلى ثالث، بالعكس يجتمع الثالث دون فقدان للوجدانية.

القديس ديونسيوس الإسكندري

٣. الله فريد في كل شيء، حتى عندما يتحدث عنه الكتاب المقدس بكونه "الله الواحد"، فإن هذا لا يعني خضوعه لقواعد حسابية، إذ هو ليس بمحدود. بمعنى آخر، يلزمنا أن نفهم لفظ "واحد" هنا ليس رقمًا من بين الأرقام، إنما يعني "وحدة" لا ينطق بها. لا يمكن أن تختبر الوجدانية أو تفهم على إنها ترقيم لأن هذا يجعل الله كائنًا جامدًا يخضع تحت العدد. لهذا السبب يقول أثيناغوراس إن الله واحد، لكنه ليس كفرًا بشري مخلوق وقابل للموت، مركب وقابل للانقسام (إلى أجزاء)؛ فإن الله غير مولود ولا متغير ولا قابل للتجزئة، فهو لا يتكون من أجزاء. ويقول القديس إكليمنضس: [إن الله واحد، يتعدى الواحد، وفوق الوجدانية ذاتها].

٤. تُسأل عادة: كيف يمكن أن يلد الله ابناً؟ نجيب على هذا السؤال بسؤال آخر: "ألا يستطيع الله أن يلد ابناً؟ فإننا لا نستطيع أن نقبل فكرة أن الله جامد غير قادر على العطاء. فكل جوهر فعال لابد أن يلد شيئاً، فالنار تولد ضوءً وتعطي حرارة. والعنصر المشع يعطي طاقة نووية، والعقل البشري يلد أفكاراً حكيمة. هكذا لا يمكن أن يكون الله كائنًا جامدًا، فإن الابن مولود منه منذ الأزل، وهو النور المولود من النور. حقًا إن النور الذي لا يلد نورًا هو ظلام!

+ كُتب أن يسوع المسيح هو "بهاء مجده ورسم جوهره..." (عب ١: ٣)، "صورة الله غير المنظور" (كو ١: ١٥)، كما أن الكلمة هي صورة العقل غير المنظور. لكن بهاء النور أزلي، (فالابن) ذاته بالتأكيد أزلي، لأنه كما أن النور موجود دائمًا فواضح إن البهاء أيضًا يوجد معه على الدوام. فوجود البهاء يفهم وجود النور وبالتالي لا يوجد نور لا يعطي نورًا... من ثم فالبهاء يشرق قدامه منذ الأزل، ومولود منه على الدوام، يسطع في حضرته، إذ هو الحكمة، القائل "كنت عنده... كل يوم لذاته فرحة دائمًا قدامه" (أم ٨: ٣٠). فلا ب إذن أزلي، والابن كذلك أزلي، لأنه نور من نور.

القديس ديونسيوس السكندري

+ لو كان جوهر الله غير مثمر في ذاته بل هو عقيم -كما يدعون- فيكون كنور لا ينير، وكنعج جاف، أفلا يخلون عندما يتحدثون عن قوته وطاقته الخالقة بينما ينكرون ما هو بالطبيعة؟

البابا أثناسيوس الرسولي

+ لله أيضًا كلمته... ليس خارجًا عنه بل من ذاته. إن كان لله قوة الإرادة وفعال، فإرادته فعالة وقادرة على خلق الأشياء التي ستوجد؛ وكلمته فعال وعامل، هذا الكلمة بالتأكيد يجب أن يكون هو إرادة الآب الحية، والطاقة الجوهرية، والكلمة الحقيقية الذي فيه يتأسس كل شيء ويدبر حسنًا.

البابا أثناسيوس الرسولي

+ ماذا نظن في النور سوى الله الآب؟ ألم يكن بهاؤه (عب ١: ٣٠) حاضرًا معه؟ يستحيل تصور نور دون بهاء. إن كان هذا حقًا فإنه لم يكن يوجد زمن فيه الابن ليس ابناً.

العلامة أوريجينوس

٥. تكشف ولادة الابن الأزلية عن طبيعة الله الكائن المحب، الذي في حبه اللانهائي يلد الابن، مقدمًا له ذات جوهره الإلهي بكونه واحدًا معه. إنه حب فريد، أن "الكائن" يهب ذاته، ذات جوهره. هذا الحب اللانهائي قد استعلن لنا نحن أيضًا ولكن بما يناسبنا، لهذا السبب يدعو القديس إكليمنضس الله: [الآب وخالق الكون كله].

٦. يدعى الأقنوم الثاني "الابن" تأكيدًا لوحداية الجوهر مع الآب؛ ولئلا يفهم انه منفصل عن الآب، كما لو كانا جوهرين وإلهين، دُعي "كلمته" والأرض "حكمتة". بهذا نفهم بنوته بمفهوم غير بشري. يقول القديس أثناسيوس: [كما قلنا قبلاً نعود فنكرر هنا انه يلزم عدم مقارنة الولادة الإلهية بتلك الطبيعية لدى البشر، وعدم اعتبار الابن جزءً من الله، كما لا تتضمن الولادة أي نوع من العواطف مهما كانت؛ فالله ليس إنسانًا. بالنسبة للبشر فإنهم يلدون ما هو متغير. أما بالنسبة لله فالأمر غير هذا، لأن الله لا يتكون من أجزاء، ولا يتغير؛ فالابن لا يجعله يتجزأ. هذا ثابت في الكتاب المقدس وواضح ومعلن فيه. فإن كلمة الله هو الابن، والابن هو كلمة الله وحكمته. الكلمة أو الحكمة ليس مخلوقًا ولا هو جزء ممن هو كلمته، وليس نسلاً يمكن بدوره أن يتناسل. يوجد بالكتاب المقدس اللقبان معًا، فيتحدث عن "الابن" ليعلن عن الميلاد الطبيعي الحقيقي الكامن في جوهره، ومن ناحية أخرى لئلا يظن أحد إن هذه البنوة تشابه التناسل البشري، بينما يشير إلى جوهره يدعوهُ أيضًا الكلمة والحكمة والبهاء ليعلمنا أن هذا الميلاد غير قابل للتغيير، أبدي، لائق بالله].

يليق بنا ألا نتطلع إلى الله بمنظار مادي، فإنه ليس كائنًا بشريًا أو مخلوقًا. عند سماع لقبي الآب والابن لا يعني هذا إن الله تزوج وأنجب إلهاً آخر، إذ لا وجود

للجنس في جوهر الله. يلد الآب الابن كما تلد الشمس أشعتها أو كما يولد العقل من نفس الإنسان، والبهاء من النور. هذه الأمثلة وغيرها قاصرة عن التعبير عما هو إلهي.

١. وحدة الثالوث القدوس فريدة، ليست كامتزاج السوائل والمواد، ولا كوحدة نفس الإنسان بجسده، ولا كاتحاد لاهوت المسيح بناسوته، لأن للأقانيم الثلاثة جوهرًا أليها واحدًا واضحًا. كل أقنوم يملأ الأقنومين الآخرين وهو محتوى فيهما لكنه متمايز عنهما. يقول القديس أثاناسيوس: [كيف يمكن للواحد أن يكون محتويًا في الآخر، والآخر فيه؟ "أنا والآب واحد" (يو: ٣٠، ٣٨)؟؟ ويضيف: لكي تعرفوا: "أنبي أنا في الآب والآب في" (يو: ١٤: ١٠). علاوة على هذا يقول: "من رأيي فقد رأى الآب" (يو: ١٤: ٩). المعنى واحد في هذه العبارات الثلاث. لأن من يعرف أن الآب والابن هما واحد يدرك أيضًا أن الابن في الآب والآب في الابن، لأن لاهوت الابن هو ذات لاهوت الآب في الابن. ملء لاهوت الآب حال في كيان الابن، والابن هو الله الكامل. لاهوت الابن ونمطه ما هو إلا لاهوت الآب ونمطه. هذا ما قاله: "أنا في الآب". وهكذا "الله كان في المسيح مصلحًا العلم لنفسه" (٢كو: ١٩: ٥). لأن خاصية جوهر الأب هي للابن الذي فيه تصالحت الخليقة مع الله.]

[الثالوث القدوس المبارك غير قابل للتجزئة وهو واحد في ذاته. فإذا ما ذكرنا الأب نعني ضمنيًا الابن الكلمة، كما نعني أيضًا الروح القدس الذي في الابن. وإذا ذكرنا الابن فإن الآب في الابن والروح القدس ليس خارج الكلمة لأنه توجد نعمة واحدة تتحقق من الآب بالابن في الروح القدس.]

.. إما بالنسبة لوحدة الثالوث القدوس في المشيئة الإلهية يقول ج. ل. بريستيج G.L. prestige: [يلاحظ أوريجينوس إن مشيئة الله قائمة في مشيئة الابن وإن مشيئة الابن لا تنحرف قط عن مشيئة الأب. لا توجد مشيئتان بل مشيئة واحدة، تتحقق هذه المشيئة الواحدة بكلمات ربنا القائل: "أنا والآب واحد" ويكرر العلامة أوريجينوس القول بأن الآب والابن "متمايزان" pragmata موضوعيًا، لكنهما واحد في الاتفاق والانسجام وتحقيق القصد. يتبع أثاناسيوس أوريجينوس في تأكيد مشيئة واحدة تصدر عن الآب قائمة في الابن بحيث يرى الابن في الآب، والآب في الابن. ويقول أيضًا: [كما أن الله واحدًا في المشيئة فهو واحد في العمل أو "الطاقة". يرجع هذا التعليم إلى أثاناسيوس، حيث يمثل جانبًا من براهينه على لاهوت الروح القدس. هكذا يعرض هنا الفكر بإسهاب، قائلًا إن الآب هو نور، والابن هو بهاء هذا النور، والروح القدس الذي هو الوكالة الذي به تنال البشرية استنارتها يلزم أن يكون متمايزًا في الابن. فعندما نستتير فإن المسيح نفسه الذي في الروح هو ينيرنا، إذ يقول القديس يوحنا: "المسيح هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان. بالمثل الآب هو النبع، والابن يدعى النهر الذي يفيض من هذا النبع، ويقول الكتاب المقدس أيضًا إننا نستقي من الروح. بارتوائنا من الروح نستقي من المسيح نفسه. مرة أخرى المسيح هو الابن الحقيقي، لكننا بالروح نصير أبناء وننال روح التبني.

من هذا يستنتج (أثناسيوس) أنه يوجد ثالوث كامل قدوس، يعبر عنه بالآب والابن والروح القدس، لا يحوى شيئاً غريباً صادراً من منبع خارجي. بطبيعته يحوى ذاته بذاته، دون تجزئة، طاقته واحدة، إذ يعمل الآب في ثبات بالكلمة في الروح القدس. على هذا فوحدة الثالوث القدوس محفوظة، لهذا يكرز بإله واحد في الكنيسة، هذا الذي هو فوق الكل وبالكل وفي الكل. فوق الكل هو الآب الأصل والمنبع، وبالكل بالكلمة، وفي الكل بالروح القدس. [يدافع القديس ديديموس الإسكندري عن مشيئة الثالوث القدوس الواحد.

يؤكد القديس كيرلس وحدة عمل الثالوث القدوس؛ فالآب يعمل بالابن في الروح القدس؛ كذلك يعمل الابن بكونه قوة الآب، لأن كيانه (الأقنومي) هو من الآب وفي الآب، والروح القدس يعمل لأنه روح الآب والابن.

الإيمان الثالوثي وحياتنا اليومية

لا نستطيع أن نفصل الإيمان عن حياتنا اليومية ؛ إذ للإيمان دور أساسي في عبادتنا وعلى مفاهيمها واشتياقاتنا وفي سلوكنا. ونود هنا أن نذكر بعض الأمثلة للكشف عن أثر الإيمان الثالوثي على حياتنا.

١. يجب أن نميز بين الوجدانية التي تقوم على الإيمان الثالوثي والوجدانية المطلقة التي قامت في مواجهة تعدد الآلهة. فالإيمان بتعدد الآلهة تأسس غالبًا على الصراع بين هذه الآلهة، مما كان له أثره على حياة الإنسان الداخلية، حيث يجد الإنسان في الصراع نموذجًا لحياته؛ فيمارسه الإنسان ليس فقط ضد الآخرين وإنما حتى ضد نفسه. وكما سبق فقلت إن الوجدانية كانت لازمة لفهم العهد القديم حسنًا لمنع الناس من السقوط في تعدد الآلهة، لكن إن فهمنا الوجدانية خارج الإيمان الثالوثي نظن في الله كائنًا جامدًا هائلًا ومخيّفًا، ذا سمات مطلقة، يخلق هذا الإيمان نوعًا من "الفردية والانعزالية"، إذ يتطلع المؤمن إلى الله كمثال له، فيراه الوحيد الذي لا يُدنى منه، كمن هو معتزل في سمواته، لا تقوم فيه أية حركة. أما الإيمان بالوجدانية خلال سرّ التثليث فيقدم نموذجًا إلهيًا للمؤمنين عن "وحدة الحب". فيحثنا على ممارسة الحب على أثر خطوات الثالوث القدوس وخلال عمله فينا.

٢. في هذا السرّ نتعرف على "الأبوة والبنوة" في معانيهما اللانهائية، فالآب يلد الابن كما يولد النور من النور، مقدمًا له ذات جوهره. هذه العلاقة الفريدة لا يمكن أن توجد خارج الله، أقصد أن للآب والابن جوهر واحد بسيط. خلال هذه العلاقة تتمتع بالتبني لله، إذ نقبل الآب أبانا باتحادنا معه في ابنه الوحيد. خلال هذا السرّ لا تحصر علاقتنا بالله في دائرة ضيقة كعبيد مع سيدهم، إنما يقبلنا أولادًا له (رو٨:١٥-٢٣، أف٥:١).

خلال هذه العلاقة الجديدة تتمتع بحركة حب إلهي لا تتوقف، مترجين لا أن ننال مباهج منافع من الله في هذا العالم الحاضر أو الدهر الآتي، بل نقتنى الله نفسه، نرث أحضانه كمسكن أبدي لنا. بمعنى آخر يحول الإيمان الثالوثي علاقتنا بالله من علاقة منفعة ذاتية إلى شركة حب متبادل.

٢. يهبنا الإيمان الثالوثي فهمًا متسعًا للكمال إذ يتساءل البعض: كيف يمكن أن يكون الآب كاملاً في سماته وهو لا ينفصل عن الابن والروح القدس (أي يشاركه سماته)؟ ونفس الأمر بالنسبة للابن والروح القدس. نجيب على هذا التساؤل بأن الكمال الحقيقي لا يُستعلن خلال الاكتفاء الذاتي والانعزالي، وإنما خلال حركة الحب الأزلية في الله والعلاقات المتبادلة اللانهائية.

يبلغ الإنسان (والحياة البشرية) الكمال لا بتمجيد الإنسان ذاته ولا باكتفائه بذاته، وإنما خلال الوحدة مع الغير القائمة على الحب. الإنسان الكامل ليس هو من

يغذى الذات ego من أجل اقتناء مجدٍ باطلٍ ونفعٍ لحسابه، بل هو ذاك الذي يحب الغير ويقبل حبهم له.

ع. للإيمان الثالوثي أثره على كل الحياة البشرية اذكر على سبيل المثال:
أ. في العهد القديم لم يكن المؤمنون قادرين على قبول الإيمان الثالوثي الذي يؤكد الوجدانية الحققة. كان لهذا النقص أثره على عبادتهم، إذ تطلّعوا إلى الله ككائن لا يدنى منه، يعبدونه خشية أن يغضب عليهم. أما في العهد الجديد إذ قبل المؤمنون الإيمان الثالوثي تعرفوا على الله الذي يعلن حبه باحتضانه للبشرية واجتذابهم إلى الحزن الأبوي لينعموا بأسراره ويشاركونه أمجاده. لم يعد البشر مجرد آلات تخدم الله بطريقة آلية، إنما هم أبناء محبوبون يتمتعون بالأسرار الإلهية.

ب. يستأصل الإيمان الثالوثي كل جذور (الأنانية egoism)، فإننا إذ نرفع صلواتنا يجتذبنا الإيمان إلى الثالوث القدوس، الحب السرمدى، فنصلي من أجل خلاص كل البشرية بقلب متسع منفتح!

ج. للإيمان الثالوثي أثره حتى على حياتنا الاجتماعية، فإذا اخترنا الزواج نترجى في الأسرة أن تكون أيقونة المحبة الثالوثية، يجد مسرته في مسرة الغير، ويعمل كعضو في الجسد لأجل بنيان الأسرة كلها. بهذا المنظار ماذا تكون الأسرة سوى وحدة حب حقيقي، فيها يشترك كل عضو أن يعطى لا أن يأخذ؟! من جانب آخر إن اخترنا الحياة الديرية نقدم قلبًا مفتوحًا نحو الكنيسة كلها بل ونحو العالم اجمع، هذا ما نعلنه خلال سجدّاتنا (مطانياتنا) المستمرة وصلواتنا الدائمة من أجل كل البشر!

الثالوث القدوس والفلسفة

يقول Prof. M. Agiorghoussis: [كانت الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة هما النظامين الفلسفيين الذين استخدمهما الهرطقة (الأريوسيون ومقاوموا الروح pneumatomachs في محاربة الإيمان المسيحي والتعليم الخاص بالثالوث القدوس. فكان أريوس - على سبيل المثال - ساقطاً تحت الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة عندما رفض ألوهية ابن الله ومساواته لله الآب في الجوهر بحسب الفلسفة الأفلاطونية، الولادة تعني انتقاصاً أو تغييراً في الجوهر، فلا يقدر الابن أن يكون من ذات جوهر الآب. وبحسب أفلوطين الكيان الحقيقي يختلف في الجوهر عن العقل الصادر منه ؛ على هذا تثليث أفلوطين هو الثالوث الذي دعي إليه أريوس وأتباعه ضد تعاليم الكنيسة فيرى أونوميوس الأريوسي أن جوهر الابن يختلف عن الآب، بكون الأول مولوداً، أما الآب فغير مولود ويرى الأريوسيون المتشددون -ومن بينهم مقاوموا الروح pneumatomachs- أنه ما دام الابن خليفة منفصلة، يختلف في الجوهر عن الآب، فإن الروح يختلف أيضاً عن جوهر الآب (ربما وعن جوهر الابن) وبهذا يعتبر الروح مخلوقاً.

لقد وقف الآباء، خاصةً آباء مجمع نقية، ضد ما قام به الهرطقة من تفلسف ديني، خاصة في معالجته لتعليم الثالوث القدوس. فإنه لم يهدف الآباء بأية حال نحو إدخال الفلسفة إلى المسيحية لأنها دين إعلان "إلهي". لقد استخدموا الفلسفة فقط عند الضرورة للرد على الهرطقة أو عندما كانت عقيدة الكنيسة إلى لغة مفهومة تناسب المؤمنين الذين كانوا يخاطبونهم آنذاك بلغة ثقافتهم.

أما المنهج الفلسفي، خاصةً الأرسطوطاليسي فقد انتهجه الدارسون في العصور الوسطى؛ استخدمه توما الأكويني، إذ كان الآباء يلجأون إلى الفلسفة عند الضرورة القصوى فقط باعتبارها مجرد (خادمة علم اللاهوت).

استخدم آباء المجمع المسكوني الأول اللفظ (homoousion) [من ذات الجوهر] وأقرّه المجمع المسكوني الثاني، هذا اللفظ مشتق من فلسفة أرسطو "الجوهر الثاني". وقد أدان الأريوسيون آباء المجمع الأول باستخدامهم عبارات غير كتابية. أما آباء المجمع الثاني فقد تجنبوا استخدام عبارات غير كتابية في صياغة التعليم الخاص بالروح القدس في البند الثامن من قانون الإيمان.

كان أثناسيوس من بين هؤلاء الآباء العظام في نضالهم ضد الهرطقة الذين استخدموا الفلسفة اليونانية من أجل الضرورة، وهو أول من استخدم تعبير (omoousios) مساوٍ في الجوهر وواحد معه (consubstantial)، كذلك باسيليوس والكبادوكيان: غريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيسي.

يرى الأستاذ نيكوس نيسبوليس prof. Nikos A. Nissiolis أن التعليم الخاص

بالتالوث القدوس كتابي بحث وليس كما يظن البعض مزيج من الفلسفة اليونانية القديمة والإيمان المسيحي، إذ يقول:

(يمكننا بسهولة تفنيد هذا النقد، لأن هذا المزج لم يحدث إطلاقًا في المسيحية الأولى لأنه كان للفلسفة اليونانية ولللاهوت المسيحي كيانات عظيمات؛ لكل منهما أصالته الخاصة به، واستقلالية هويته التامة. ومجالات الفكر وطرق التفكير، بحيث لا يمكن المزج بينهما لخلق نظام جديد شبه لاهوتي أو شبه فلسفي.

على وجه الخصوص في اللاهوت التالوثي الذي تطور في القرنين الرابع والخامس لتفسير الإيمان المسيحي في مواجهة الهرطقات،. الخاصة بشخص المسيح Christological والخاصة بالروح القدس Pneumatological، يمكن للإنسان بسهولة أن يبرهن على أن الإيمان التالوثي هو التعليم الفريد والوحيد للإيمان بالله في تاريخ الفكر الديني في العالم الذي يطابق الإعلان الكتابي الواحد والفريد بكل أمانة.

كل المصطلحات المستخدمة في اللاهوت المسيحي المبكر لتوضيح الله كتالوث هي مصطلحات كتابية. لجوهر، والطبيعة فيزيكس، شخص (بروسوبون)، أقنوم (هيپوستاسيس) مقتبسة من الكتاب المقدس. فكمثال قيل عن المسيح (الذي هو رسم جوهره (hypostasis)).

حتى أكثر الألفاظ إثارة للجدل استخدمها الهرطقة حول طبيعة المسيح، أي (هوموسيون homoousion)، تعبر عن إشارة مباشرة وصريحة في الكتاب المقدس لتعميق الانتماء المشترك لله الآب مع اللوغوس المتجسد بكونه ابنه الأزلي (يو: ١٧: ٢١، ٢٣). على أي الأحوال هذا الاصطلاح لم يقتبس عن الفلسفة اليونانية بل هو اصطلاح لاهوتي أصيل في (اللاهوت الخاص بالمسيح "خرستولوجي") يقدم كيانًا عميقًا لجوهر الآب والابن، جاء في كل العهد الجديد تقريبًا، في كل أسفار، كشهادة واضحة لذلك.

الثالوث القدوس والتشبيهات

الإيمان بالثالوث القدوس كعقيدة أساسية في كل البناء المسيحي هو خبرة "حياة أو موت". إنه سرٌّ غير مدرك، يمس حياتنا هنا كما في السماء. وقد بذل آباء الكنيسة كل الجهد لتوضيح هذا السرِّ، لأن اللغة البشرية قاصرة عن أن تعبر عن ما هو إلهي؛ ولم تقدم الطبيعة كلها مثالاً لوجود جوهر واحد في ثلاثة أقانيم متميزة.

لكي ندرك هذا السرِّ يمكننا القول بأن الله هو الكائن الوحيد "الواجب الوجود بذاته"، هذا الوجود الذاتي الذي يدعى الجوهر الإلهي والذي يتميز بمجموعتين من الخصائص والسمات. خصائص ذاتية تخص كيانه وخصائص تخص علاقته بالخلقة. الخصائص الذاتية ثلاث: الكينونة ولوغوسه (كلمته أو حكمته) وحياته. هذه الخصائص ليست شيئاً إضافياً إلى جوهره كما لو كانت صادرة عن الخارج، إنما هي منذ الأزل لا تنفصل عن جوهره الإلهي نفسه. إذ لم يوجد زمن كان فيه الجوهر الإلهي دون "الكينونة" وإلا ما كان موجوداً. حاشا لله! ولم يوجد قط الجوهر الإلهي دون الكلمة أو الحكمة، وأيضاً هو حي أزلي. يوجد تمايز بين "الكينونة" والأرض "الكلمة" والأرض "الحياة"، لكن دون انفصال، إذ يوجد جوهر إلهي واحد وطبيعة واحدة. الآب هو الجوهر الإلهي مع خاصية الكينونة، والابن هو ذات الجوهر مع خاصية الكلمة "اللوغوس" والروح القدس مع الحياة. ولما كان الحكمة أو اللوغوس مولوداً من "الكينونة" لذلك دُعي الأقبوسمان الأول والثاني: "الآب والابن". ودُعي الأقبوس الثالث الروح القدس بكونه الحياة الإلهية.

يجدر بنا ملاحظة أن الأقانيم الثلاثة غير منفصلة، لهم جوهر واحد وأعمالهم غير منفصلة.

أمثلة من الخليفة

كما سبق فرأينا أن الخليفة لم تقدم لنا مثالاً لجوهر واحد في ثلاثة أقانيم متميزة، لذلك عندما نقدم بعض الأمثلة لتوضيح هذا السرِّ الإلهي نفترض مسبقاً أن جميعها لا تفسره إلا جزئياً، أو من جوانب معينة دون الأخرى، حتى يمكن لعقلنا قبوله. ثانياً للتعرف على هذا السرِّ نحن في حاجة إلى النعمة الإلهية التي تهينا الشركة مع الله، أي الشركة مع الآب في ابنه بالروح القدس.

خلق الإنسان على صورة الله (تك ١: ٢٧؛ ٢: ٥)، نفسه موجودة كائنة، عاقلة وحيّة. فمع إن النفس واحدة إلا أن كيانه متميز عن عقلها وأيضاً عن حياتها، ولا ينفصل الثلاثة عن بعضهم البعض.

وعد الله أن يحفظ كنيسته، قائلاً: "وأنا أكون لها سور نار من حولها أكون مجداً في وسطها" (زك ٢: ٥). للنار ثلاث خواص ذاتية تشبه الأقانيم: لهيب ونور متولد من اللهيب، وحرارة منبعثة عنه، لكنها ليست أقانيم لأن الواحدة لا تملأ الآخرين. من

خلال النور يمكننا أن نتعرف على النور، وهكذا أيضًا من خلال الحرارة.

للشمس كيان ككوكب وهي تولد أشعة وحرارة ومع هذا فهي شمس واحدة. ندعو الكوكب نفسه شمسًا وأيضًا أشعته تدعى هكذا، وكذلك الحرارة.

التفاحة: يشبه الله بالتفاحة، إذ قيل: "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين" (نش:٣:٢). للتفاحة ثلاثة خواص: مادتها التي نأكلها وطعمها ورائحتها، ويمكننا التعرف على التفاحة من طعمها أو رائحتها.

الآب

يقول Prof. Maximos Agiorghoussis : [أنه ليس " قوة فائقة للطبيعة " عمياء، ولا هو نوع من "إله الفلاسفة" "المحرك الأول الذي يحرك كل شيء ويبقى هو بلا حركة" (أرسطو)؛ أو المثال الفائق (الخيالي) (أفلاطون)؛ وإنما هو إله الإعلان الشخصي، خالق العلم ومديرة، خاصة بنى البشر، هو أب أولاده وبناته الحنون، الذي يدخل معهم في عهد، ليكون لهم إلهًا وهم يكونون له شعبًا مختارًا.]

بمعنى آخر حينما نتحدث عن الآب الذي يرتبط مع الابن وأيضًا مع الروح القدس بعلاقة أزلية، نقصد أن الله في حركة أزلية حتى في داخله، يمكن أن توصف بأنها حركة حب متبادلة. فالأبوة تعني إن حركة الله الداخلية هي حركة حب وليست فقط حركة قدرة وسلطان.

بالرغم من أن لاهوتي الإسكندرية الأوائل قد تحدثوا عن عدم تغير الله وتنزهه عن العواطف البشرية إلا إنهم ركزوا على أبوته الحق من خلال الحب الذي ليعبر عنه بلغة بشرية كما لو كانت له مشاعر وعواطف بشرية. يقول العلامة أوريجينوس: [علاوة على هذا، ألا يختبر الآب إله الكون كله المشاعر والأحاسيس إذ هو طويل الأناة وكثير الرحمة؟! لأن "الرب إلهك يملك في طرقك كما يحمل الإنسان ابنه" (تث ١: ٣١).

اللوغوس

١. نترنم بإحدى التسابيح القبطية كأعداد لسرّ الإفخارستيا، قائلين:
"بهاء اسمك القدوس، في أفواه قديسيك،
يا ربي يسوع المسيح، مخلصي الصالح...
اسمك حلو ومبارك في أفواه قديسيك،
أيها الاسم المملوء مجدًا،
أيها الاسم المملوء بركة" [إبصالية السبت].

دعي ابن الله المتجسد يسوعًا وقد تسمى هكذا قبل ولادته (مت ٢١: ١) اجتذب هذا الاسم الإنجيليين فكرروه أكثر من ستمائة مرة في الأناجيل.

وأحب المسيحيون الذين من أصل يهودي أو يوناني هذا الاسم المقدس، فالنسبة لليهود يعني "يهوه المخلص" وبالنسبة لليونانيين يعني "الشافى".

قل عن يشوع (يسوع) بن سيراخ: "كان يشوع (يسوع) بن نون رجل بأس في الحروب خليفة موسى في النبوات. كان كاسمه عظيمًا في خلاص مختاري "الله" (يشوع بن سيراخ ١: ٤٦)، أما يسوع فبالنسبة للمسيحيين الذين من أصل يهودي فهو مخلص العلم كله من الخطية.

يقدم القديس إكليمنضس السكندري ربنا أنه (يسوع الشافي أجسادنا ونفوسنا) أنه الطبيب الإلهي القادر وحده أن يخلصنا من نتائج الخطية.

ربما يسأل البعض: هل من ضرورة لكلمة الله نفسه أن يتجسد ليفدينا ويشفي طبيعتنا البشرية؟

أ. "بالعصيان اختار الإنسان الموت" (تك ٢: ١٧) عوض الحياة. وقد علم الله آدم طقس الذبيحة الحيوانية كعلامة عن الحاجة إلى "سفك دم" لخلاصه (عب ١٠: ٢). وكان هذا رمزًا لذبيحة ربنا يسوع الفريدة.

يقدم القديس بولس مقارنة بين الذبائح الحيوانية في العهد القديم وذبيحة المسيح، الحيوانات تذبح لإراديا بواسطة الكاهن اليهودي، أما ربنا يسوع المسيح فقدم دمه الثمين بإرادته من خلال حبه الإلهي كان هو الكاهن والذبيحة في نفس الوقت (عب ٩: ١٢) إلخ..

كانت الحيوانات يذبحها الكهنة الذين هم أنفسهم في حاجة إلى تطهير وخلاص؛ أما كاهننا "المسيح" فقدم دمه لأجلنا ولم يكن محتاجًا إلى الخلاص لأنه بلا عيب.

الحيوانات عاجزة عن القيام بدور الوساطة بين الله والناس، أما يسوع المسيح ابن

الله فقد صار ابن الإنسان يقدر أن يقوم بهذا الدور.

كانت الذبائح الحيوانية عاجزة عن أن تخلص حياتنا الداخلية أو تطهرها، لهذا كانت تتكرر يوميًا أما ذبيحة ربنا فمقدمة مرة واحدة فقط من أجل خلاص العالم، ولا يزال أثرها متجدد حتى الآن. لا تزال الذبيحة عينها حاضرة عبر العصور.

يقول العلامة أوريجينوس أن الذبائح الحيوانية كانت تستهلك بأكلها أو حرقها أما ذبيحة ربنا فليست حية فحسب وإنما تهب حياة أيضًا للمشاركين فيها.

ب. كان من الضروري لخلاصنا أن يتجسد كلمة الله نفسه ليموت لحسابنا ليس فقط لأنه وحده أن يفي العدل الإلهي بل وبكونه الخالق يقدر أن يجدد طبيعتنا البشرية. أنه الله القدير الذي يهبنا النصر على الموت والأرواح الشريرة؛ وهو السماوي القادر أن يرفعنا إلى سمواته لنرث المجد الأبدي كأبناء الله (رو١٨:١٥، ٢١:٩٤) ونصير على مثال الله.

يقول القديس أثناسيوس: [كلمة الله. بتقديم جسده فداء عنا يفي بعدل ديننا بموته. فإنه إذ يوحد البشرية كلها بجسد كأجسادهم يمكنه وهو ابن الله غير الفاسد أن يلبس كل البشر عدم الفساد. صار الكلمة جسدًا ليقدم هذه الذبيحة ولكي ما نحن إذ نشترك في الروح نتأمله. صار الله إنسانًا لكي نصير نحن آلهة].

عبارات قانون الإيمان النيقوي الأصلي التي وضعت أصلًا لتفنيد الأريوسية هي (ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله المولود من الآب الابن الوحيد، أي من جوهر الآب من الله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق (مصنوع) من ذات الجوهر ومساوي له [Homooousios] مع الآب. وقد حدث جدل على العبارات الأخيرة، خاصةً "Homooousion" التي تقرر أن المسيح هو من ذات جوهر الله بطريقة لا تترك مجالًا لللبس. المسيح إلهي. لأن طبيعته أو جوهره من نفس طبيعة أو جوهر الآب.

٢. بخصوص طبيعة ربنا يسوع المسيح كلمة الله المتجسد أصر التقليد الإسكندري على تأكيد وحدانية الرب مؤكدًا الوحدة الحقيقية بين اللاهوت والناسوت دون انفصال ولا امتزاج.

الروح القدس

الروح القدس ليس قوة إلهية غير شخصية، ولا هو مجرد حضرة إلهية أو عطية إلهية، إنما نؤمن بشخصه الاقنومي الثالث. يدعوه ربنا "معزيا آخر" (يو١٦:١٦). ويقدمه الكتاب المقدس بكونه "الخالق" (أي٤٤:٤)، وهو الناطق في الأنبياء، يعلن عن مشيئة الله وبهيئ البشرية لقبول ابن الله المتجسد. انه واهب الحياة ومصدر التقديس. وقد أكد القديس بطرس ألوهيته (قارن أعمال ٣:٥ مع ٤:٥).

عمل المسيح الخلاصي هو أساس عمل الروح القدس في الكنيسة، يهبنا الشراكة مع الآب في المسيح المصلوب،. وفي نفس الوقت بدون الروح القدس: "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب" (١كو١٢:٣) وبدونه لا تقدر الكنيسة أن تنعم بحضرة المسيح كرأس لها. لذلك يقول الرب: "خير لكم أن انطلق لأنه إن لم انطلق لم يأتيكم المعزي" (يو١٦:٧). لذلك يلزم أن يفهم التاريخ الكنسي أنه عمل الروح القدس، إذ ولدت الكنيسة كجسد المسيح في يوم العنصرة ولا تزال تتغذى على الروح القدس الذي يقودها ويرشدها ويقدها ويعينها في العبادة والكراسة، يلهم جسد الكنيسة وبنينه.

ستخدم البابا أثناسيوس قول إشعياء (٦٣:٧-١٤) ليعلن أن (روح الله ليس ملاكًا ولا مخلوقًا بل من صميم اللاهوت) ويرى القديس ديديموس إن هذا النص السابق هو دليل على أن مؤمني العهد القديم نالوا نعمة من (الروح الغير منفصل عن الآب والابن) ويرى القديس كيرلس في نفس النص دليلًا على هوية "جوهر" الروح القدس مع الآب.

استخدم آباء الكنيسة الإسكندريون ألقاب الروح القدس لإثبات لاهوته. هذا ويستخدمون أعماله لذات الهدف.

يقول القديس ديديموس أن الذي يملأ كل المخلوقات يلزم أن يكون من جوهر يختلف عن كل الخلائق ويقول القديس أثناسيوس: [لو كان الروح القدس مخلوقًا لا يمكن أن تكون لنا به شركة مع الله به، لأننا بهذا نتحد مع خليقة غريبة عن الطبيعة الإلهية. إن كان (الروح القدس) يجعل البشر إلهيين، فإن طبيعته دون شك هي طبيعة الله.

يقول القديس كيرلس إن الروح القدس هو ذاك الذي يبرر الخطاة ويكمل المختارين، يعمل ما من اختصاص الطبيعة الإلهية الفائقة المجد وحدها، كما يقول أنه إن كان الروح الذي يجعلنا آلهة هو من طبيعة مختلفة عن طبيعة الله لفقدنا كل رجاء.

الله في كتابات الآباء الإسكندريين

كان اللاهوت الإسكندري المبكر أولاً وقبل كل شيء كتابيًا؛ غايته شرح الحق الإنجيلي لكل أحد، خاصة الذين تتقفوا بالثقافة الهيلينية (اليونانية).

استخدم كل أب من الآباء الإسكندريين ذات الخط اللاهوتي، لكن كل حسب احتياجات عصره. على سبيل المثال أثيناغوراس الذي كرّس حياته (قبل إيمانه بالمسيحية) لعدة سنوات لمهاجمة الإيمان المسيحي من الكتاب المقدس نفسه وعندما تحول إلى المسيحية شعر بالمسئولية للدفاع عن "الوحدانية" المسيحية من خلال الإيمان الثالوثي. كتب دفاعه إلى الإمبراطورين دفاعًا عن الإيمان، داعيًا إياهما للتمتع به. وكتب القديس إكليمنضس إلى الفلاسفة عن الله، مركزًا على الابن بكونه المعلم الحقيقي الذي يهذب المؤمنين ويهبهم المعرفة الإلهية. أما العلامة أوريجينوس الذي انشغل بالتفسير الرمزي للكتاب المقدس فقد أوضح إن الله غير المدرك يهب المؤمنين الحقيقيين معرفة الأسرار السماوية الإلهية. ودافع القديس أثناسيوس عن الإيمان الثالوثي الأرثوذكسي ضد الأريوسيين كما دافع القديس كيرلس عن الإيمان الكنسي ضد النسطورية، مؤكدًا وحدانية يسوع المسيح بكونه ابن الله المتجسد. وأوضح القديس ديسقورس نفس الإيمان الخاص بوحدة اللاهوت بالناسوت دون انفصال ولا تشويش. وكتب آباء الكنيسة القبطية في العصور الوسطى خاصة في القرن الثالث عشر، دفاعًا عن الإيمان المسيحي مفندين الاتهام بتعدد الآلهة، مستخدمين ذات المنطق المناسب للبيئة. وكان الصفي بن العسال من رواد ذلك العهد وقد اقتبس كثيرًا من الكتاب اللاهوتيين المسيحيين في منطقة الشرق الأوسط ذات أسلوبه الجدلي بتحقيق ذات الهدف.

الله في كتابات أثيناغوراس

يوضح أثيناغوراس Athenagoras علاقة المسيح والروح القدس بالآب لتأكيد الوجدانية خلال وحدة الثالوث. أوضح تسمية الله "الآب" والابن والروح القدس. فالابن هو عقل الآب وكلمته وحكمته؛ والروح القدس هو ينبوع الآب - ἀπορροής effluence، يفيض منه واليه كشعاع الشمس ونور النار.

يقول أيضًا إن الله غير المبتدئ الأزلي وغير المنظور قد خلق العالم كله وزينه وأنه بالفعل يديره بكلمته، الذي هو ابن الله. ابن الله ليس كأبناء البشر لأنه هو كلمته في الفكر والعمل، ومتحد معه، لأنه في الآب، والآب فيه. يؤكد أيضًا وضع الروح القدس بكونه القوة الكائنة في الخليقة؛ فالله خلق كل شيء بكلمته، ويحفظ كينونتها بالروح الذي منه.

الله في كتابات القديس إكليمنضس الإسكندري

ا. يقول Kelly: [إله بالنسبة له منزّه تنزيهًا مطلقًا وهو غير مدرك، ولا موصوف ؛ انه "الوحدة، الذي يفوق الوحدة، ويسموا فوق الوجدانية"، ومع هذا فهو يحتضن كل حقيقته..]. يقول القديس إكليمنضس: [ليس للآهوت شكل ولا أسماء ؛ فإن كنا ننسب له أسماء يلزمنا ألا نفهمها في معناها الضيق. عندما ندعو الله " الواحد " و " الصالح و العقل والوجود و الآب والله والخالق والرب " فإننا لا نعطي الاسم اللائق به. وإذا نعجز عن أن نعمل أكثر من هذا نستخدم التسميات المكرمة لكي تتمكن أفكارنا من وجود ما تستند عليه ولا تتوه بلا تحديد.. فالله لا يدرك بمعرفة بشرية قائمة على حقائق معروفة مسبقًا إذ لا يوجد شيء يقدر أن يسبق الكائن الواجب الوجود بذاته. ما يتبقى إذن هو انه يمكن فهم غير المدرك فقط بالنعمة الإلهية وبالكلمة الصادرة عنه)

ب. الابن سرمدى، ميلاده من الآب بلا بداية، يقول القديس إكليمنضس: [ليس الآب بدون ابن بل هو كائن معه؛ انه أب الابن]. الابن واحد جوهريًا مع الآب مادام الآب فيه وهو في الآب.

ج. يقول كواستين أن فكرة اللوغوس هي مركز نظام إكليمنضس اللاهوتي وكل فكره الديني ويقول جوزيف ماكيلاند إن موضوع لاهوته هو "التعليم Paideia المسيحي"، فالمسيح هو المربي الحقيقي Paedagogus الذي يثقف المؤمنين، واهبًا إياهم المعرفة Gnosis الحقّة. يقول القديس إكليمنضس: [لا يوجد إيمان بدون معرفة، ولا معرفة بدون إيمان. الابن هو المعلم الحقيقي]. إنه يعلم المؤمن بتدريبه نفسه his soul على اكتشاف الحق. [المعلم يدرّب الأبناء. ونحن هم الأبناء. في اختصار يصنع الرب ما نفعله نحن مع أطفالنا].

يعلّمنا هذا المعلم الإلهي عن الآب [لكي نأتي إلى معرفة الآب، يلزمنا أن نؤمن بالابن لأن ابن الآب هو معلمنا، إذ يأتي بنا الآب من الإيمان إلى المعرفة بواسطة الابن].

الابن هو معلمنا الإلهي لا يهبنا فقط نعمته للتمتع بالمعرفة الحقيقية، وإنما يقدم أيضًا نفسه كمثال لتمثل به لنصير مثل.

المعلم الإلهي في حبه للمؤمن لانهائيًا يتخلل إلى كل حياته، مهتمًا حتى بأصغر أموره. كما أن الشمس لا تنير السماء وحدها بل وتنير العالم كله، وأيضًا تشرق على البر والبحر، ترسل أشعتها خلال النوافذ والشقوق الصغيرة إلى الأماكن الداخلية؛ هكذا يتدفق الكلمة إلى كل موضع، متطلعًا إلى دقائق الأعمال لحياة الإنسان.]

الله في كتابات العلامة أوريجينوس

يرى العلامة أوريجينوس إن تأسيس الكنيسة الروحية هو الهدف الحقيقي للاهوت ولإيماننا ولمعرفتنا بالله. فيقول: [الله ليس موضوع فضول بشري إنما هو كائن حر ذو سلطان؛ يهب ذاته ليكون معروفًا لكائن مخلوق له تقديره لدى الله لتكامل شخصيته؛ ينتظر الله أن يرتبط معه بعلاقة حرة بكامل إرادته. يجمع هذا الإيمان البشري من الشرق والغرب والشمال والجنوب في معرفة الله].

أ. [الله عند العلامة أوريجينوس غير مادي، منزّه، غير مدرك، ومع هذا فهو يعلن عن نفسه للبشر، خاصة إن كانت عقولهم نقية، إذ يقول: [يوجد تقارب بين العقل البشري والله فالعقل ذاته هو صورة الله، لذلك يمكن أن يكون له بعض الإدراك للطبيعة الإلهية خاصة كلما ازداد نقاء ومعرفة عن الماديات].

ب. بكل تأكيد لا يخضع الله للعواطف البشرية، وفي نفس الوقت ليس بالكائن الجامد إذ هو "الحب" الفريد ذاته. يعبر عن الحب بأسلوب يناسب طبيعتنا البشرية حتى يمكننا أن نتعرف عليه ونقبله، لذا نقرأ في الكتاب المقدس إن الله يحزن لسقوطنا في الخطية، وأنه يكره الخطية ويفرح بتوبتنا. يقدم العلامة أوريجينوس أمثلة عديدة لذلك من الكتاب المقدس، ثم يخرج بالنتيجة التالية: [في كل هذه النصوص التي يذكر فيها الله يحزن أو يفرح أو يكره أو يسرّ يلزمنا فهمها على إنها واردة في الكتاب المقدس على سبيل المجاز و بطريقة تعبير بشري. لأن الطبيعة الإلهية أسمى من كل أحاسيس عاطفية أو تغير، إنما تبقى أبدًا ثابتة غير مضطربة في قمة تطويبها].

ج. كان أوريجينوس على دراية قوية بتعبير "التثليث trias والأقنوم.

د. أتهم أوريجينوس أنه علم بالتدرج أو التفاوت في الرتب بين الأقاليم subordinationism بمعنى إن الابن خاضع للآب وأقل منه والروح القدس خاضع للابن وأقل منه. يقول كواستن: [أكد البعض تعليم أوريجينوس بالدرج بين الأقاليم بينما أنكر البعض عليه ذلك. ولم يتردد القديس جيروم في اتهامه بهذا بينما دافع عنه غريغوريوس الصانع العجائب والقديس أثناسيوس نازعين عنه كل شك. دافع عنه أيضًا كتاب معاصرون مثل Ragnon , Prat ..]

هـ. يقول العلامة أوريجينوس إن الابن يولد من الآب لا بعملية انقسام بل بذات الطريقة التي بها تولد الإرادة من العقل؛ إذ يقول: [ابن الله الوحيد هو حكمته القائمة جوهريًا. كيف يظن أحد إن الله الآب يمكن أن يوجد في أي وقت دون ولادة الحكمة؟. يليق بنا أن نؤمن أن الحكمة لا بداية لها... لقد دعي "الكلمة" لأنه مفسر أسرار عقل الله... محذور علينا الظن الخاطئ بأن الآب قد ولد الابن الوحيد الجنس بذات الطريقة التي يلد بها إنسان إنسانًا، أو حيوان حيوانًا، فإنه يوجد فارق عظيم. واضح إن الأمر ليس هكذا إذ لا يوجد في الوجود مثيل لله لا في الإدراك ولا

في الخيال. لهذا لا يستطيع الفكر البشري أن يدرك كيف يكون الله غير المولود أبا للابن الوحيد الجنس. إنه ميلاد سرمدى لا يتوقف شعاع يتولد من نور. فإنه لم يصر الابن خارجاً عنه، بتبني الروح إنما هو الابن بالطبيعة. هو وحدة الابن بالطبيعة، لذا دعي "الابن الوحيد". يجب الحذر حتى لا يسقط أحد في تلك الخرافات السخيفة التي أولئك الذين يتصورون نوعاً من الأعضاء "prolations"، أو أجزاء في الطبيعة الإلهية، ويقسمون كيان جوهر الآب. بالأحرى (الولادة) هنا كحركة الإرادة الصادرة (المولودة) عن العقل دون بتر جزء منه أو انفصال عنه أو تقسيمه، هكذا بطريقة مشابهة يمكن التفكير في ولادة الابن من الآب.]

[يخبرنا يوحنا أن "الله نور" (١يو:١:٥)؛ ويدعو بولس الابن "بهاء النور الأبدي" (عب:١:٣)، وكما لا يمكن وجود نور دون بهاء، فكيف يمكن القول بأنه وجد زمن لم يكن فيه الابن؟! هذا يشبه القول بأنه وجد وقت لم يكن فيه "الحق والحكمة والحياة". إننا نعتذر عن استخدامنا لمثل تلك التعبيرات مثل: "وجد زمن لم يكن يوجد فيه الابن".]

ويؤكد العلامة أوريجينوس أن الكلمة أو الحكمة قد ولد بعيداً عن العواطف الجسدية، وذلك كولادة الإرادة من العقل، فإن كان قد دعي "ابن محبته" (كو:١:١٣)، فلماذا لا نقول بالمثل ابن إرادته؟.

و. يؤكد العلامة أوريجينوس شخصية (أقنومية) الروح القدس. "الروح (الريح) تهب حيث تشاء" (يو:٣:٨). هذا يعني أن الروح كائن جوهري (له مشيئته) إنه ليس كما يتخيل البعض نشاطاً (طاقة) لله دون أن يكون له وجود فردي (أقنومي). فالرسول بعدما يعدد مواهب الروح القدس يكمل هكذا: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد، قاسماً لكل واحد بمفرده ما يشاء" (١كو:١٢:١١).

إن كان الروح "يشاء" و "يعمل" و "يقسم" لهذا فهو في جوهر عامل وليس نشاطاً مجرداً. استخدم العلامة أوريجينوس كلمات سفر الأعمال ليؤكد ذات الفكرة "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن" (أع:١٥:٢٨)؛ والروح القدس يقول (أع:١٣:١٢، ٢١:١٠).

ز. يؤكد العلامة أوريجينوس ألوهية الروح القدس: [الروح نفسه في الناموس وفي الإنجيل؛ إنه دائماً مع الآب والابن، مثل الآب والابن كان ويكون وسيكون دائماً.].

يعلن العلامة أوريجينوس عن عمل الروح القدس في حياتنا، قائلاً: [أعطيت نعمة الروح القدس للمخلوقات (البشرية) غير المقدسة بطبيعتها لتجعلهم قديسين بشركة الروح. بهذا ينالون الوجود من الله الآب، والتعقل من الكلمة، والقداسة من الروح القدس مرة أخرى إذ يتقدسون بالروح القدس يمكنهم قبول المسيح لأنه هو "بر الله" (١كو:٣:٠). والذين حسبوا أهلاً لبلوغ هذه المرحلة بتقديس الروح القدس يتقدمون لنوال موهبة الحكمة بقوة روح الله وعمله فيهم.].

الله في كتابات ثيؤغنسطس

ثيؤغنسطس مدير مدرسة الإسكندرية في النصف الثاني من القرن الثالث، أعلن إن جوهر الابن لا يصدر عن عدم، وإنما عن جوهر الآب كالبهاء الصادر عن النور، والبخار الذي لا يتجانس مع الشمس ولا مع الماء ولا هو غريب عنهما؛ هكذا جوهر الابن ليس مطابقًا للآب ولا هو مغاير له. هو فيض من جوهر الآب دون حدوث عملية تجزئة.

الله في كتابات بيرينوس

يبدو أنه تحدّث عن الآب والابن كجوهريين أو طبيعتين، من الواضح انه استخدمها
ليعني "الأقنوم" عند العلامة أوريجينوس.

الله في كتابات القديس ديونسيوس الإسكندري

في دفاعه عن الإيمان الأرثوذكسي ضد السابليانية Sabellianism أكد بشدة الأقانيم الثلاثة. ظن سميّه ديونسيوس الروماني Dionysius إن الكلمة اليونانية "أقنوم" تعادل في اللاتينية (substantia جوهر) كما تعلم من ترتليان، لتعني حقيقة اللاهوت غير المنقسم الثابتة، لهذا اتهم ديونسيوس الإسكندري بأنه ينادي بثلاثة جواهر إلهية، مقدمًا ضده الاتهامات الآتية:

أ. أنه صنع تقسيمًا يبلغ حد الفصل بين الآب والابن (بكونه ينادي بثلاثة أقانيم أي ثلاثة جواهر إلهية).

ب. إنكار أزلية الابن (لأن له جوهر غير جوهر الآب).

ج. تلقيب الآب بدون الابن، والابن بدون الآب، كما لو كانا ليسا غير قابلين للانفصال في ذات كيانهما.

د. الفشل في وصف الابن كمساو في الجوهر مع الآب وواحد معه (مادام لكل منهما جوهره).

هـ. الإقرار بأن الابن كان مخلوقًا يختلف عن الآب في الجوهرين substances.

بعث البابا الإسكندري رسالة إلى أخيه يوضح له انه يؤمن بجوهر إلهي واحد. وفي القرن التالي دافع القديس أثناسيوس عن سلفه في رسالته De sentia Dionysii (عن رأي ديونسيوس) وإنني هنا اقتبس بعض عبارات للقديس ديونسيوس اقتبسها القديس أثناسيوس في رسالته:

[المسيح سرمدى، بكونه الكلمة والحكمة والقوة، فإنه لا يجوز افتراض إن الله لم تكن لها مثل هذه وبعد ذلك ولد ابناً].

[الابن وحده الكائن دائماً مع الآب وممتلئ به، وانه هو نفسه صادر عن الآب].
[الاتهام الذي نسبوه إلى زائف، أعني إنني أنكرت إن المسيح واحد في الجوهر مع الآب. فإنني أقدم برهاناً بأنني لم أجد كلمة "هوموسيون" ὁμοούσιος. ولا قرأت عنها في الكتب المقدسة، إلا أن ما أوردته من براهين لاحقة التي قد احتواها، لا تتعارض مع معنى هذه الكلمات].

[ولدت الحياة من الحياة، وفاضت كنهر من نبع ويشعل نور من نور لا يطفئ بهاءه].
[لم يوجد زمن ما فيه لم يكن الله هو الأب.. الله على أي الأحوال هو نور سرمدى بلا بداية ولا نهاية، ومن ثم فالبهاء أمامه سرمدى كائن معه، بلا بداية، ولادته دائمة، مشرقة في حضرته].

الله في كتابات القديس الكسندر الإسكندري

بالرغم من اتهام أريوس له بالسابلية لأنه مصر على وحدة الثالوث، واضح انه قد أدرك "الكلمة" أقتوًا متميزًا عن الآب اتهمه مقاوموه انه يعلم بأن الابن كالآب (unorginate مصدر) لكنه في الواقع علم بأن الابن صادر عن كيان الآب شريك معه في السرمدية لأن الآب لا يكون قط بدون كلمته وحكمته وقوته وصورته ويلزم أن يكون الآب أبًا على الدوام.

الله في كتابات القديس أثناسيوس

دافع القديس أثناسيوس عن الإيمان الأرثوذكسي بالثالوث القدوس ضد الأريوسية، فقد أوضح إيمان الكنيسة الخاص ببساطة الله بكونه لا يتعارض مع إيمانها بالثالوث المقدس، وفي نفس الوقت اعتمد على الفكر الخلاصي (السوتيولوجي soteriological) في دفاعه عن لاهوت الابن ولاهوت الروح القدس.

لقد أوضح دور التعليم بالثالوث القدوس في حياة الكنيسة قائلاً: [اللاهوت كامل في الثالوث. هذا هو الدرع الحقيقي الوحيد؛ هذا هو الحق والصلاح، انه الإيمان الذي أعطاه الرب نفسه، وكرز به الرسل، وحفظه الآباء، هذا هو الإيمان الذي نبت عليه الكنيسة. التدبير الثالوثي، الأقانيم الثلاثة في توافق تام: الآب يخلص، والابن يخلص، والروح القدس يخلص. هذه الوحدة لا تقوم على معرفة كينونة الله بل على معرفة عمل الثالوث الخلاصي الواحد].

١. بساطة الله

يؤكد القديس أثناسيوس أن الله بسيط، غير مركب، طبيعته غير معقدة. في بساطة هو واحد وان كان في ثلاثة له نعمة واحدة، وحدة في طاقته وأعمال "نعترف بالله الواحد في ثالوث".

[يوجد لاهوت واحد للثالوث القدوس، وإيمان واحد للثالوث القدوس. لو كان الروح القدس مخلوقاً لما حسب من الثالوث، لأن الثالوث كله إله واحد. ليس شيء غريباً يختلط في الثالوث. أنه لا يتجزأ، له ذات الطبيعة].

[يحقق الآب كل شيء بالكلمة في الروح القدس].

[توجد نعمة واحدة تتحقق من الآب بالابن في الروح القدس].

[مثل هذا الاتفاق المشترك العجيب والوحدة في الروح القدس، من يفصل الابن عن الآب، الروح القدس عن الابن أو عن الآب نفسه؟ من يجسر أن يقول أن الثالوث "غير متجانس" داخلياً أو غير متماثل؟ أو يتحدث عن الابن كجوهر غريب عن الآب أو عن الروح كغريب عن الابن؟ لكن إن سأل أحد: كيف يحدث هذا؟ وكيف يقال عن الابن انه فينا عندما يكون الروح فينا، أو الآب عندما يكون الابن فينا، أو كيف يعني الثالوث كله عندما يشار إلى أقنوم واحد، أو يقال "الثالوث كله" إنه فينا حين يقال أن أقنومًا واحدًا فينا أن قدم أحد مثل هذه الأسئلة، فليفصل البهاء عن النور، أو الحكمة عن الحكيم، أو يوضح لنا كيف يمكن أن يحدث هذا. فإن كان لا يستطيع هذا يكون أكثر جنونًا أن نفترض تقديم تساؤلات مثل هذه بخصوص الله، لأن "الحق الخاص" باللاهوت لا يعطى باستعراض مجادلات، كما جاء في (١كو١٧: ٢؛ ٤: ٢)، بل بالإيمان مع استخدام العقل بحذر ووقار مع هذا فإنه يمكن معالجة مثل هذا الارتباك بالاعتماد على الإيمان أولاً وبطريقة أساسية، بعد ذلك تستخدم مثل تلك التشبيهات: الصورة والبهاء ومصدر النهر. فكما إن الابن في الروح كما في صورته الذاتية، هكذا الآب في الابن. وقد أمدتنا الكتب المقدسة

بمثل تلك المقارنات. لكي نؤمن انه توجد قداسة واحدة هي من الآب بالابن في الروح القدس.]

[وحيث يوجد الآب يوجد الابن، وحيث يوجد النور يكون البهاء، "كل ما يفعله الآب افعله أنا أيضًا" (يو:١٩:٥). هكذا أيضًا عند منح المعمودية من يعمده الآب يعمده الابن أيضًا، ومن يعمده الابن فهو مقدس في الروح القدس.

وأيضًا عندما تشرق الشمس يقال إن الشعاع ينير، لأن النور واحد لا يتجزأ ولا ينقسم. هكذا الآب حيث يوجد أو يسمى واضح أنه هكذا يوجد الابن أو يسمى. هل يدعى الآب في المعمودية؟ لذا يجب أن يدعى الابن معه.

ب. الابن الأزلي

[إن كان يدعى المولود من الآب أزليًا، فإنه يدعى هكذا بحق. لأن جوهر الآب لم يكن قط غير كامل، بحيث أن ما يخصه يضاف إليه فيما بعد، ولا ولد الابن كإنسان من إنسان فيكون وجوده متأخرًا عن الآب بل هو ابن الله، وكابن لائق به موجود أزليًا على الدوام. فإن كان يليق بالبشر أن يلدوا في زمن عن عدم كمال طبيعتهم أما ابن الله فأزلي لأن طبيعته دائمًا كاملة.]

[أن الآب أزلي فبهاؤه أيضًا أزلي، الذي هو كلمته. مرة أخرى الله الكائن له كلمته الصادر عنه هو أيضًا كائن و الكلمة لم يضاف إلى الله كما لو كان قبلاً غير موجود، ولا وجد الله قط بدون عقل.]

الله في كتابات آباء آخرون

سبق أن ناقشت لاهوت القديسين كيرلس وديسقورس في كتاب:
"المصطلحان اللاهوتيان: طبيعة "فيزيس" وأقنوم "هيوستاسز" في الكنيسة الأولى".

أما عن آباء العصور الوسطى فأود أن أقدم لاهوتهم في كتاب مستقل.

ألوهية السيد المسيح في الكتاب المقدس

يعلن الكتاب المقدس في كل أجزائه عن لاهوت السيد المسيح، بطرق متنوعة، كي نقبله مخلصًا قديرًا، يهبنا خبرة الخلاص من الدينونة والفساد والموت والشيطان. إلخ.

١. إنه الرب

يعلن إشعياء النبي أنه يوجد رب واحد (٥:٤٥، ٢١، ٢٢) ويؤكد أن السيد المسيح هو الرب (٦:٩).

ومن الواضح أن لقب "الرب" يستخدم للإعلان عن ألوهية المسيح، وهو يدعى "رب المجد" (٨:٢٠)؛ "رب الأرباب" (رؤ ١٩:١٦؛ ١٤، ١٧)، "رب السبت" (مت ١٢:٨) إلخ..

استخدم يسوع المسيح هذا المعنى في مناقشاته مع اليهود (مت ٢١:٧؛ لو ٤٦:٦) وسيستخدم البشر ذات اللقب في الحديث معه في اليوم الأخير (مت ٢٢:٧، ٢٣؛ مت ٣٧:٢٥، ٤٤؛ لو ٢٥:١٣).

اكتفي هنا باختيار لقبين فقط:

أ. رب السبت: هذا اللقب يعني انه واضع الناموس، وانه هو الذي سن شريعة السبت أحد الوصايا الإلهية الهامة، لذا ينسب الله السبت إليه (تك ٢:٣-١، خر ٢٠:٨-١١، ١٣:٣١، ١٩:٣، ٢٦:٢:١٣).

ب. رب داود: ليس عجيبًا أن اليهود وبعض الأمم، وجماعات وأفراد، بسطاء ومتعلمين، عندما اكتشفوا أن يسوع هو المسيح لقبوه "ابن داود" (مت ٢٧:٩، ١، ١٥:٢٢، ٢٠:٣٠، ٢١:١٩). وذلك لأن داود كان الملك الأول الذي اختاره الله ليحكم شعبه وقد نال وعدًا عظيمًا "ومملكتك إلى الأبد أمامك" (٢صم ١٦:٧). وقد ترجى الأنبياء -عبر العصور المظلمة- قيام مملكة ابن داود المسيانية (اش ٩:٧، ١١:١، إر ٢٣:٥، ٣٠:٩، ٣٣:١٧؛ حزقيال النبي ٣٤:٢٣، ٢٤، ٣٧:٢٤؛ العالم ٩:١١، زك ١٢:٨، هو ٥:٣ إلخ). وفي سفر الرؤيا (٥:٥) يدعى الرب القائم من الأموات "الأسد" الخارج من سبط يهوذا أصل داود، وعندما سأل يسوع المسيح قادة اليهود المتعلمين، الفريسيين، عن المسيح أجابوه بأنه ابن داود (مت ٢٢:٤١-٤٥؛ مر ١٢:٣٥-٣٧؛ لو ٢٠:٤١-٤٤) لكنه أربكهم عندما وجه نظرهم إلى المزمور ١١٠:١ الذي يعتبره الكل خاصًا بالسيد المسيح حيث يدعو داود نفسه المسيح ربًا له. وقد أعلن الرب عن ألوهيته عندما سألهم: "فإن كان داود يدعو ربًا فكيف يكون ابنه؟" (مت ٢٢:٤٥).

٢-إنه الله

"فأجاب توما وقال: "ربي وإلهي" فقال له يسوع "لأنك رأيتني يا توما آمنت" (يو ٢٠:٨، ٢٩).

"ولكن للابن يقول: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور"
"ببر إلها والمخلص يسوع المسيح" (٢بط ١:١).

"هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١يو٥:٢٠).
"وقد جاء المسيح الكائن على الكل إلهاً مباركاً" (رؤ٩:٥).
"فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو٢:٩).
"منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح"
(تي١٣:٢).
"لترعوا كنيسة الله التي افتداها بدمه" (أع٢٠:٢٨).
"الذي كان في صورته الله لم يحسب خلصة أن يكون مساوياً لله.. صائراً في شبه
الناس" (في٢:٦).

هنا نلاحظ انه في اليونانية استخدم القديس بولس كلمة morphe والتي ترجمت
"صورة" وكلمة shemata التي ترجمت "شبه" (مظهر)، الأولى تعني الطبيعة
الأساسية الأصلية الغير متغيرة لجوهر شخصي أو شيء، والثانية تعني الخارجية
المتغيرة وغير الثابتة لشخص أو لشيء ما. فمثلاً للرجل دائماً "صورة" غير متغيرة
وهي الناسوت ولكنه يستطيع أن يكون له ظهور أي مظهر خارجي يختلف في
مراحل الطفولة والصبا والشباب والرجولة والكهولة. ويقول القديس بولس كان
يسوع في "صورته" الله وهذا ما يقال أن الطبيعة الجوهرية ليسوع هي نفس
الطبيعة الجوهرية للآب.

يسوع المسيح هو كلمة "لوغوس" الله المتجسد

(١يو١:١؛ ١يو٥:٧؛ رؤ١٩:١٣). بالنسبة لليهود فإن اللوغوس أو كلمة الله ليس فقط
"صوتاً" أو "كلمات" ينطق بها بل هو شخص كان يمشى في جنة عدن (تك٣:٨)
خالق السموات (مز٣٣:٦، ٩). هو قوة الله الخالقة الديناميكية، في حالة عمل دائم
(إش٥٥:١١، إر٢٣:٢٩). وبالنسبة لليونانيين "فاللوغوس" كلمة فلسفية تعني العقل
الناطق لله أو نطقه العاقل الذي لا ينفصل قط عن جوهره.

٤. له خصائص الله ويقوم بأعمال الله

يقول "كل ما للآب فهو لي" (يو١٦:١٥) "وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي"
(يو١٧:١٠). ولكن ما هي كل الأشياء التي للآب والتي ينسبها ربنا يسوع لنفسه
سوى الخصائص الإلهية والقدرات والكمال الإلهي؟ وقد اتهمه اليهود بالتجديف لأنه
جعل نفسه مساوياً لله (يو٥:١٨، ١٠:٣٠-٣٣)، ولكنه يعلن تلك المساواة حتى عندما
يخاطب الآب (يو١٧:١٠).

أقدم الآن بعض الأمثلة عن الخصائص والأعمال الإلهية:
أ. الواحد الأزلي

مكتوب "من الأزل إلى الأبد أنت الله" (مز٩٠:٢) (انظر إر١٠:١٠؛ حب١:١٢). وقد
نسب ربنا يسوع المسيح الأزلية لنفسه عندما قال لليهود: "قبل أن يكون إبراهيم
أنا كائن" (يو٨:٥٨)، ولذلك أرادوا أن يرموه. ويقول ميخا: "ومخارجه منذ القديم

منذ أيام الأزل" (٢:٥)، (انظر أيضًا يوحنا ١٧: ٥، ٢٤).

ب. الأول والآخر

في سفر إشعياء يظهر الله نفسه أنه الأول والآخر (١:٤١، ٦:٤٤، ١٢:٤)، وفي سفر الرؤيا يفعل يسوع نفس الشيء (رؤيا ١: ٧، ٨، ٩، ١٧؛ ٢٢: ١٢-١٦)، إنه الأول والآخر، البداية والنهاية، الألف والياء لأنه أزلي لم يكن وجود قبله ولا نهاية بعده الأردن فهو الألف والياء ولا ينقصه شيء، لأنه كامل كلى القدرة وكلى القداسة وكلى العلم وكلى الحكمة وكلى الصلاح. إلخ..

ج. الواحد الذي لا يتغير

الله هو الواحد الذي لا يتغير (يع ١: ١٧)، ويعبر القديس بولس عن ذلك فيقول: "يسوع المسيح هو أمسًا واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨) وفي سفر الرؤيا مكتوب: "هو الكائن والذي كان والذي يأتي" (رؤيا ٤: ٨، ١١؛ ٦: ١٦؛ ٥).

د. موجود في كل مكان

"لأنه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠).
"ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو ٣: ١٣).

"إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى واليه نأتي وعنده نصنع منزلًا" (يو ١٤: ٢٣).

"المسيح يحيا في" (غل ٢: ٢٠).

"هاأنذا واقف على الباب واقرق فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل إليه أتعشى معه وهو معي" (رؤيا ٣: ٢٠).

هـ. القادر على كل شيء

الله هو الوحيد القادر على كل شيء (تك ٦: ٣، ٣: ٤٨، ٢ كو ٦: ١٨). وقد دعي ربنا يسوع نفسه القادر على كل شيء (رؤيا ١: ٨، ١) (انظر أيضًا بط ١: ٣، يوحنا ٢٤، ٢٥؛ في ٣: ٢٠، ٢١؛ رؤيا ٨: ٤؛ ١١: ٦؛ ١٥: ٣؛ ١٦: ٧، ١٤؛ ١٩: ٦؛ ٢١: ٢٢).

و. الديان

يسمى الله الديان (تك ١٨: ٢٥، مز ٩: ٧، ٦: ٤٩؛ ٢: ٩٤؛ رو ٣: ١٤، ١٢؛ عب ١٢: ٢٣).
ويظهر ربنا نفسه انه الديان (مت ١٦: ٢٧؛ ٢٥: ٣١-٤٦؛ ١٣: ٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٢؛ رؤيا ١٦-١٧).

ز. فاحص القلوب والأفكار

عند تدشين الهيكل صلى سليمان إلى الله الذي وحدة يعرف قلوب البشر (١مل ٨: ٣٩)؛ يصفه في كل موضع كمختبر القلوب (أم ١٧: ٣) ووازنها (انظر أيضًا مز ٩: ٧؛ إر ١١: ٢٠؛ ١٧: ٩، ١٠؛ ١ تس ٢: ٤).

يقول يسوع المسيح: "فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو فاحص الكلى والقلوب

وسأعطي كل واحد منكم كحسب أعماله" (رؤ٢:٢٣). في الواقع عندما كان على الأرض حسب الجسد كان يعرف أفكار البشر (مت٩: ٣، ٤؛ ١٢: ٢٤، ٢٥؛ مر١١: ١٦، ١٧؛ لو٥: ٢١، ٢٢؛ ٧: ٣٩، ٤٠؛ ٩: ٤٦، ٤٧؛ ١١: ١٧؛ يو١٦: ٧، ٨ إلخ..).

ح. وحده بلا لوم وقُدوس
كل البشر -حتى القديسون- خطاة (مز١٠٣: ٣؛ ٣: ٥٣؛ رو٣: ٢؛ يو١: ٨؛ تي١: ١٥)؛ الله وحدة الصالح (مت١٩: ١٧)؛ القُدوس (رؤ١٥: ٣٤)؛ يسبح له السرافيم، قائلين: "قُدوس قُدوس قُدوس" (إش٦: ٣). وقد قيل عن السيد المسيح أنه القُدوس (لو٥: ١٣؛ أع١٣: ١٤؛ عب٧: ٢٦؛ أع٤: ٣٠؛ رؤ٣: ٧؛ يو٨: ٤٦؛ ١٤: ٣٠؛ عب٤: ١٥؛ ٢كو٥: ٢١؛ ١بط٢: ٢٢).

ط. غافر الخطايا
الله هو غافر الخطايا (مز١٠٣: ١، ٣؛ ١٣٠: ٣، ٤؛ خر٣: ٦، ٧؛ مر٢: ٧)، لهذا عندما غفر الرب خطايا اليهود قال: "لماذا يتكلم هذا هكذا بتجديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟" (مر٢: ٧). أما هو فأكد أنه يغفر الخطايا، أعطى تلاميذه ورسله السلطان ليغفروا الخطايا بروحه القُدوس (يو٢٠: ٢٢). كما فتح الفردوس للخطاة التائبين (يو٢٠: ٢٢).

ي. قابل العبادة
إنه يقبل العبادة التي لا يجوز تقديمها إلا لله وحده (مت٢٢: ٧؛ في٢: ١٠، ١؛ رؤ١٥: ٤) حتى في صلواتنا المقدمة إلى الأب يجب تقديمها باسم يسوع (يو١٦: ٢٣، ٢٤؛ ١٤: ١٣، ١٤).

ك. هو الحياة وواهب الحياة
الله موجود بذاته، يهب الحياة لخلائقه، إذ يقول: "كما أنني حي يقول رب الجنود" (صف٩: ٢)؛ وربنا يسوع هو الحياة (يو٧: ١١-١٧) وتحت سلطانه (يو١٥: ١؛ ٥٤: ٦؛ ١٠: ٢٧، ٢٨) إنه خبز الحياة (يو٦: ٣٥، ٤١، ٤٨، ٥١)؛ وهو القيامة (يو١٥: ٢٥).

ل. الخالق
(يو١: ٣؛ عب١: ١؛ كو١: ١٥، ١٦؛ ١كو٨: ٦) أنه الخالق الذي حوّل الماء خمراً (يو٢)، وفتح عيني المولد أعمى (يو٩: ٣٢).

٥. إرساله الروح القدس روح الله
(انظر يوثيل٢: ٢٧، ٢٩؛ خر٣٩: ٢٩؛ أع٣٣: ٢؛ يو١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧؛ ٢٢: ٢٠).

٦. علاقته بالروح القدس
ولد بالروح القدس من العذراء (مت١: ١٨؛ إش٧: ١٤). وقد قال إن الروح القدس يأخذ مما له ويخبرنا، وأن كل ما للأب فهو له أيضًا (يو١٦: ١٤، ١٥).

٧. نزوله من السماء

(انظر يوحنا ٦: ٣٣، ٣٨، ٤١؛ ١٦: ٢٧، ٢٨؛ ٣: ٣). إنه ليس فقط يسكن في السموات بل وله سلطان عليها (أع ٥: ٧؛ لوقا ٢٣: ٤٣؛ مت ١٦: ١٩)، هناك تتعبد له المخلوقات السماوية (في ٢: ٩)، وهو أعلى من السموات (عب ٧: ٥٦).

٨. ابن الله

بنوته للآب فريدة، لذا يدعى ابن الله الوحيد (يو ١: ١٨؛ ٣: ١٦، ١ يوحنا ٩: ٩). تتميز بنوته عن بنوتنا لله (تك ٦: ٢؛ مز ٢٩: ١، ٢؛ خر ٢٢: ٤؛ مت ٩: ٥)، وهى بنوة أزلية (عب ١: ٥؛ مز ٢)، أعلنها الآب نفسه عندما انفتحت السماء عند عماده (مت ٣: ١٧؛ لوقا ٣: ٢٢)، وعندما تغيرت هيئته (مز ٩: ٢-٧). غاية العهد الجديد هو أن نؤمن بهذه البنوة (يو ٢٠: ٣١) وبحسب هذا الإيمان الصخرة التي عليها بنيت الكنيسة (مت ١٦: ١٣-١٨).

فهم مجمع السنهدريم هذه البنوة أنها تعني مساواته للآب لهذا اعتبروها تجديدًا (مت ٢٦: ٦٣-٦٨)، وكان الشيطان في حيرة بسبب هذه البنوة (مت ٤: ٣؛ ٢٧: ٤).

تنبأ عنها العهد القديم (أم ٣٠: ٤)؛ وبشر بها الملاك جبرائيل (لوقا ١: ٣٥)، واكتشفها المسيح عندما قام السيد المسيح بأعمال إلهية كأن جعل القديس بطرس يمشى على الماء (مت ١٤: ١٥-٣٣)، كما اعترف بها الأعمى (يو ٩: ٣٥-٣٨)، وقائد المائة عند الجلجثة (مت ٢٧: ٥٤).

استخدم تعبير الابن بخصوص السيد المسيح وحده (يو ٨: ٣٦، ١؛ يوحنا ١٢: ٥؛ ١٤: ٤)، وعندما يجتمع مع التعبيرين "الآب" و"الروح القدس" فإن الثلاثة معًا يعبرون عن الله الواحد، إذ يقول يسوع المسيح: "باسم"، ولم يقل "بأسماء الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩).

٩. الإيمان به

كما إن الله الآب هو مركز إيماننا هكذا يسوع المسيح (يو ١: ١٤؛ أع ١٠: ٤٣؛ ١٣: ٣٨، ٣٩). بالإيمان به تتمتع بالخلص والحياة الأبدية (يو ٣: ١٦؛ ١١: ٢٥، ٢٦؛ مر ١٦: ١٦؛ أع ٣٨: ٢) وبدون الإيمان به نهلك في خطايانا (يو ٨: ٤٢).

يجب أن نؤمن بابن الله (يو ٢٠: ٣١)، ابن الله الوحيد (يو ٣: ١٦، ١٨)، وأنه في الآب والآب فيه (يو ١٤: ١٠، ١١)، من يراه يرى الآب (يو ١٤: ٩)، له الحياة في ذاته (٤: ١)، وهو مخلص العلم كله (يو ١٤: ٥)، كفارة عن خطايانا (١ يوحنا ٢: ٢).

١٠. أنه المخلص

الله نفسه هو المخلص والفادي (مز ٧٩: ٧، ١٥؛ مز ١٠٣: ١-٤؛ إش ٦٤: ٦؛ ٤٥: ٢١؛ ٤٧: ٤؛ ٤٨: ١٧؛ ٤١: ١٤؛ لوقا ١٠: ٤٦؛ تي ١: ٣؛ ٤: ٣؛ هو ١٣: ٤).

يسوع المسيح هو المخلص (مت ٢١: ١؛ يو ٤: ١٢؛ مت ١١: ١٨؛ تي ١: ١٥، تي ٢: ١٤، غلا ٣: ٢٤؛ عب ٥: ١٩؛ ٣: ٢؛ أع ١٢: ١).

هو المخلص الوحيد الذي قدم ذاته ذبيحة قادرة على كل شيء " وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل كل خطايا العالم أيضًا" (١ يو ٢: ٢).

١١. علاقته مع الآب

تعلن علاقته مع الآب عن ألوهيته، لأنه يدعى حكمة الله وقدرته (١ كو ٢: ٢٤)، كما أعلن مرارًا عن وحدته معه (يو ١٠: ٣٠؛ ١١: ١٧؛ ١٤: ١٠؛ ١٧: ١٠؛ ١٥: ١٦). وبسبب هذا أراد اليهود أن يرموه كمجذف (يو ١٠: ٣١-٣٣).

١٢. سلطانه المطلق

أ. على الطبيعة: أمر البحر والريح أن يسكتا فأطاعاه (مر ٤: ٣٧-٤١). لم يمشى فقط للماء بل سمح لبطرس أيضًا أن يفعل ذلك على كلمته (مت ١٤: ٢٥-٣٣)، وعند صلبه أعلنت الطبيعة عن غضبها (مت ٢٧: ٥١)، فغطى الظلام الأرض لمدة ثلاث ساعات (مر ١٥: ٣٣). ودخل العلية والأبواب مغلقة (يو ٢: ١٩) وذلك بسلطانه. على خلاف نواميس الطبيعة صعد إلى السموات (يو ٣: ١٣؛ أع ١: ٩).

ب. على الملائكة: فهو أعظم من الملائكة (عب ١: ٤) هؤلاء الذين يتعبدون له (عب ١: ٦؛ في ٢: ١٠؛ رؤ ٨: ٥؛ ١ بط ٣: ٢١، ٢٢) وسيرسلهم في مجيئه الأخير (مت ١٣: ٤١، ٢٣؛ ٢٤: ٣٠، ٣١) بكونه ملائكته.

ج. على الملكوت الإلهي: بكونه ملكوته (مت ١٦: ٢٨؛ ١٣: ٤١، ٤٢؛ ٢ تي ٤: ١؛ لو ٢٣: ٤٣؛ دا ١٤: ٧).

د. على الحياة والموت: (يو ١١: ٢٥، ٢٦؛ ٦: ١٤؛ رؤ ١٨: ١؛ يو ٨: ٥١؛ ٢١: ٥).

و. على الناموس: (يو ١٣: ٣٤؛ مت ٢٢: ٥، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤). وقد دعي نفسه "رب السبت"، يوم الرب (مت ١٨: ١٢؛ مر ٢: ٢٨؛ لو ٥: ٦).

ز. على نفسه: أن يموت وأن يقوم (يو ١٠: ١٧، ١٨).

ح. على الشياطين: (مر ١: ٢٢-٢٤؛ لو ٨: ٢٨، ٢٩؛ مت ٨: ٢٨). أعطى تلاميذه ورسله سلطانًا عليهم باسمه (لو ١٠: ١١، ١٧؛ مر ١٦: ١٧؛ أع ١٦: ١٨).

ط. على المجد الأبدي بكونه مجده (مت ٢٥: ٣١، ٣٢؛ مت ١٦: ٢٧، لو ٩: ٢٦)، إنه يجلس على العرش الإلهي (رؤ ٧: ١٧).

ي. في إتمام المعجزات بلا حصر (يو ٢٠: ٣٠؛ ٢٥: ٢١؛ لو ٤: ٤٠؛ مت ٢٣: ٤، ٢٤). وقد تمت جميعها بناء على أمره (مر ٩: ٢؛ لو ٦: ١٠؛ مر ٥: ٤١، ٤٢؛ يو ١١: ٣، ٤٤) أو بلمسة

المرضى (لوقا: ٢٠: ٢٢، ٥١؛ مت ٣٤: ٣٠، مر ٢٥: ٨)، أو بمجرد إرادته أن تتم (مر ١: ٤١؛ يوحنا ٧: ٩)، دون صلاة.

قام تلاميذه ورسله بعمل المعجزات لكن باسمه (في ١٣: ٤؛ مت ١٠: ١، ٨، ١٩). هدفه من صنع المعجزات أن يؤمن الناس به (يوحنا ١١: ١٤؛ ١٠: ٣٧، ٣٨).

أخيرًا فإن حياته نفسها كانت معجزة فريدة، إذ ولد من عذراء (إش ٧: ١٤)، لم يعلن الملائكة وحدهم عن ميلاده وإنما اشترك نجم غريب في هذا الأمر (مت ٢: ٢-١٠). وفي عماده انفتحت السماء وظهر الروح القدس، وفي تجليه أعلن مجده. أعلنت الطبيعة عن مجده حتى أثناء صليبه، وفي اليوم الثالث قام والقبر مغلق. ظهر لتلاميذه والأبواب مغلقة، وصعد إلى السموات، حقًا إن تفاصيل حياته وأعماله قد سبق أنبأ عنها الأنبياء بكل وضوح منذ مئات وآلاف السنين قبل مجيئه.

للتوسع في هذا الموضوع يمكن الرجوع لكتاب قداسة البابا شنودة الثالث "لاهوت المسيح".

خاتمة

واضح إن الخط الرئيسي في اللاهوت المسيحي هو أن الله الذي نؤمن به هو ذاك الذي خلق الإنسان ليحتضنه كابن له، واهبًا إياه شركة مجده ليعيش معه أبدًا. لقد خلق الله الإنسان، هذا المخلوق الحر العجيب، ليرفعه إلى سمواته ولا يتركه منعزلًا على الأرض، يهبه أسرارهِ الإلهية لا كموضوع جدال وعقائد نظرية بل علامة انفتاح الله على الإنسان ومصدر للحياة والقداسة!